رحمة نبيل
رقش
رواية
فريسة الشيخ
في حال أنك لم تتمّ عقدكِ
الأوّل فلا يُدركنّك الغروب
فريق العو - المهمة الثانية
مدينة الأدباء للنشر والتوزيع
2421981237

في حال أنك لم تتم عقدك الأول، فلا يدركنك الغروب.

1 شارع حسن أبو زيد – الزاوية الحمراء - القاهرة

01019978066 - 01117130961

Citybooks20@gmail.com

قرية الشيخ | المهمة الثانية

رواية – رحمة نبيل

رقم الإيداع 17389 / 2023

الترقيم الدولي 2 – 9 – 86859 – 977 – 978

جميع الحقوق محفوظة @

يمنع منعًا باتًا الاقتباس أو إعادة النشر سواء بالطباعة، أو النشر الإلكتروني، أو التصوير الضوئي للمحتوى، أو أي جزء منه إلا بإذن كتابي من الناشر والمؤلف. ومن يخالف ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية طبقًا لحقوق الملكية الفكرية المنصوص عليها في القانون.

تصميم: عبد الله أحمد – الإخراج الداخلي: City Books

الإهداء

إهداء لرفيقة الدرب والحياة، لمن كانت أول من حملني في طفولتي وأول من حملني في شدتي، إهداء لأمي الحبيبة

إهداء لرفيقي الاول وصديقي الأوحد، إهداء لأبي

إهداء لمن يحلو معهم الشجار، وتطيب بهم الأوقات، وتكثر معهم السبات، إهداء لأخوتي، البشر الأكثر ازعاجًا في الكون بأسره (إيمان/ سامي / مروان)

إهداء لمن تحلو بهم المصائب، وتزداد معهم الكوارث، رفاق اليوم وكل يوم (غادة / ناريمان)

إهداء للناقد الخاص بي ورفيق كل كلمة كتبتها (فاطمة طه)

واخيرًا اهداء لكل من دعمني يومًا وأسعدني بكلمة، وكان الناقد الأول والأهم في حياتي (القراء الاعزاء)

***

المقدمة

ها أنت مجددًا قد عُدت، أراك تحدق بكلماتي وهناك بسمة ترتسم على فمك، بالطبع تعلم من يتحدث معك، صحيح؟؟ أنا مشهور أليس كذلك؟؟ هل هززت رأسك للتو؟؟

حسنًا دعني اخبرك عن نفسي مجددًا وأُنعش ذاكرتك حول هويتي، أنا هو "أسامة العو" قائد فريق العو والمعروف عالميًا بـ "سرب البط البلدي"، ستتساءل الآن كأي شخص فضولي "وهل أصبح فريقك عالميًا أسامة ؟!"

وستكون اجابتي هي "لا، ولنأمل ألا يعلم العالم بشأننا، فلا قِبل لنا بمواجهة حملات إبادة للفريق بعدما يعلمون ما نفعل".

لكن أنت يا عزيزي تعلم، ولهذا عُدت وقد جهّزت عُدتك، حسنًا دعني اخبرك شيئًا (الحذر والفضول لا يأكلان من صحنٍ واحدٍ) لذا انفض عنك الحذر وتسلح بفضولك، فما أنت على وشك الخوض له يستحق كل ذرة فضول تتحرك داخل اوردتك الآن.

أثرتُ فضولك؟؟

لا؟؟

أنت شخص صعب ممل لا تتماشى صفاتك مع صفات فريقي الراقي المتفهم، لكن رغم ذلك نقبلك في الفريق فردًا خامسًا؛ والآن دعنا من الحديث وسر معي لنرى ما تخفيه تلك المهمة بين سطورها...

والآن لنردد شعارنا الجميل "مرحبًا بك في فريق العو، حيث لا مكان للأذكياء ولا مجال للتفكير"

والآن انظر امامك سترى لافتة تشير لمدخل مهمتك، لافتة خُطت عليها بأحرف مهترئة كاد الزمن يمحيها بالكامل.

"قرية الشيخ"

تنويه

جميع الأحداث في هذه الرواية، وجميع الأسماء والأماكن، هي من وحي خيال المؤلف، ولا علاقة لها بالواقع، حتى وإن تشابهت بعض الأسماء، فكلها في النهاية من وحي الخيال، وهذا العالم الذي أنت على وشك العيش به، هو عالم موازي، خُلق في رأسي يومًا، وها أنتم على وشك الدخول إليه، إلى عالمٍ جديد...

"حيث لا مكان للأذكياء، ولا مجال للتفكير"

الفصل الأول

بدأت الشمس تتلاشى من السماء مُخلفة ورائها ظلام بدأ يملئ المكان شيئًا فشيء، وجميع الفلاحين في تلك القرية بدأوا يسارعون لمنازلهم؛ رغبة في إسكات أصوات الجوع بعد يومٍ شاق في الأراضي الزراعية.

اللون الاحمر الذي يُصاحب الغروب بدأ يتحول لسوادٍ قاتمٍ لا يبدده إلا القليل فقط من مصابيح الإنارة على بعض الأعمدة التي تنتشر على مناطق متفرقة من الشوارع الرئيسية للقرية.

وفي أحد منازل الشوارع الجانبية المدفونة بين الأراضي الزراعية، كانت تقف سيدة نحيفة الجسد غائرة الوجنتين، بأعين ذابلة ووجه مرهق على باب المنزل بقلبٍ وجلٍ وقد تأخر صغيريها في العودة من اللعب..

تأففت وقد قررت أن تدخل لتحضر ذلك الخمار الطويل وترتديه أعلى حجابها، للبحث عنهما بنفسها، لكن رؤيتها لجسد أحد الصغار يركض صوبها أوقفها وهي تقول بغضب حل محل قلقها:

- كنت فين يا مقصوف الرقبة أنت، مش قولت تكونوا في البيت قبل ما الليل يليل؟؟

توقفت عن الصراخ وهي تنظر في المكان حولها باحثة عن صغيرها الآخر الذي يبلغ من العمر عشرة أعوام قائلة بقلب ينبض رعبًا:

- أمال فين اخوك يا زفت أنت؟؟ مش قولتلك متسيبوش من ايدك؟؟

ارتجف الصبي ذو الخمسة عشر عامًا وصوته خرج مرتعبًا:

- هو هو مجدي مرجعش؟؟ ده قالي إنه مروح من ساعة وانا قولتله هحصله.

ضربت السيدة صدرها في حركة مفزوعة وقد بلغ الخوف منها مبلغه تصرخ وتولول برعب:

- وأنت سيبته يرجع لوحده؟؟ أنت يعني مش عارف اللي بيحصل في البلد؟!

وقبل أن يجيب الصبي بشفاه مرتجفة، دفعته والدته جانبًا، تخطو خارج المنزل برعب تتمتم بكلمات غير مفهومة وتنادي بصوت مكلوم:

- مجدي ... مجدي، أنت فين يابني؟؟

كانت جميع الطرقات فارغة إلا من بعض الأهالي الذين قرروا الجلوس امام المنازل في الهواء الطلق، وهي تدور بحسرة بينهم تنادي صغيرها باكية حتى شعرت أن الوقت تأخر ولعبت الظنون برأسها وهي تهرول صوت منزل كبير القرية..

تركض بين الطرقات والجميع ينظر لها بتساؤل، وحينما يسمعون نحيبها باسم طفلها يضربون الاكفة مشفقين وتتعالى الهمسات بينهم باسم غريب؛ اسم تردد على جميع الألسنة والكل أجمع أن الأمر متعلق بها، (الفزاعة).

اقتحمت السيدة اراضي العمدة ليوقفها كبير الخفر الذي اعترض طريقها يمنعها الدخول:

- إيه حيلك حيلك، رايحة فين يا ست أنتِ؟!

بكت السيدة تترجاه متوسلة السماح لها بالعبور:

- الله يكرمك عديني، عايزة اشوف العمدة، ابني خرج مرجعش، قوله بس يساعدني بسرعة قبل ما الدنيا تضلم اكتر.

نظر لها الرجل بحنق وما كاد يصرخ في وجهها مبعدًا إياها عن البوابة، حتى ارتفع صوت رجل خلفهم:

- فيه ايه يا جابر ايه الدوشة اللي عندك دي؟!

وقبل أن ينطق جابر بجملة تزيح فضول العمدة، سارعت تلك السيدة ترتمي على درجات المنزل الرخامية ترتجي منه مساعدة، تبكي قلة حيلتها بعد رحيل رب أسرتها تاركًا إياها تتولى رعاية صغارها وحدها..

- الحقني يا عمدة ابني لسه مرجعش لغاية دلوقتي، أخدوا ابني، اخدوه مني.

***

خطوات مدروسة داخل ممرات المنظمة، الآن وقد أثبت نفسه وأثبت أن فريقه يستحق أن يكون واحدًا من الفرق المرموقة، نعم فخور بتلك المهمة التي أنجزها وفي أيام معدودة، وسيظل فخورًا بها ويتحدث عنها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أبعد " أسامة" نظارته السوداء عن عيونه البنية، يرسم ابتسامة جانبية، متجاهلًا جميع الأعين التي تتربص سقوطه المعتاد في نفس المكان.

وهو ما كان ليمنحهم هذا الانتصار مرة ثانية، بل ثالثة، أم كانت المرة العشرين؟؟ لا يهم كل هذا، الأهم الآن أنه لن يمنحهم لذة رؤيته يعانق الأرض، لذلك تحفزت جميع خلايا

جسده وهو يقترب من تلك البقعة المنشودة، يراقبها بنظرات ثاقبة كعدوٍ لدود، ثانية والأخرى حتى قفز من فوقها أسامة مبتسمًا بانتصار، يرتدي نظارته مرة أخرى، وهو يستدير بنصف جسده للخلف حتى ينظر للجميع بتشفي، لكن ما كاد يفعل حتى شعر بأحد ابواب المكاتب الجانبية يرتطم بوجهه في قوة كبيرة، محطمًا كل خططه طوال ليلة أمس لتجنب اهتزاز صورته أمام الجميع.

ومن بين الضحكات العالية خلع النظارة الخاصة به وهو يصيح في حنق كبير:

- إيه بتضحكوا على ايه؟؟ هو أنتم كل يوم واقفين كده مش وراكم شغلة غير دخلة أسامة؟؟ خلاص بقيت فرجة المركز كله؟؟

ولم يجبه سوى اصوات الضحكات المرتفعة في المكان حوله، لكنه لم يكن في المزاج المناسب للجدال معهم، حدق بالنظارة التي نجت من الأمر:

- شوية ناس فاضية، مش وراكم غير الضحك، في الوقت اللي أنتم بتضحكوا فيه، كنت أنا بحقق المستحيل، ولسه ...

وبتلك الكلمات أنهى أسامة خطبته الموبخة لهم يتحرك صوب مكتب مديره لاستلام ملف القضية الجديدة كما أخبره البارحة، الادرينالين يندفع بين أوردته وكله حماس لمعرفة اللغز الجديد.

طرق الباب ينتظر أذنًا، وحينما حصل عليه، خطى للمكتب يردد ببسمة بشوشة عكس عادته الحانقة الغاضبة:

- صباح الخير يا فندم.

ابتسم له القائد وهو يخرج أحد الملفات يلقي بها على المكتب أمامه بنبرة حماسية:

- صباح النور يا أسامة، جاهز للمهمة التانية؟!

لوح أسامة بالنظارة الخاصة به في الهواء يتحدث بحماس مبالغ به، وكأنه كشف اسرار الكون كله أو حلّ غموض الحياة بأسرها:

- شوف بعونك يارب المهمة دي مش هتاخد مننا يوم يا فندم، بالك المهمة اللي فاتت لو كنت عاملها بمزاج أنا وفريقي كانت خلصت في غمضة عين، بس حظهم أننا كنا رايحين مطبقين.

ارتفع حاجبيّ القائد ساخرًا من ثقة أسامة التي يتحدث به، وكأنه يمتلك فريقًا ذوي عقول فذة وذكاء حاد، هو حتى الآن لا يصدق أنهم نجوا من تلك المهمة احياء، بل وضربوا

بكل توقعاته عرض الحائط وفكّوا غموضها، لكن إن كانت المهمة السابقة حُلت بضربة حظ، فهذه لن تكون كذلك.

- حلو الثقة بتاعتك يا اسامة، لكن المرة دي الموضوع مش مدرسة، الموضوع أوسع شوية.

ضيق أسامة عيونه وقال بترقب:

- ايه جامعة؟؟

- لا قرية..

التوى ثغر أسامة مفكرًا:

- قرية؟؟

عاد القائد بظهره للخلف وهو يضم كفيه مبتسمًا بهدوء شديد:

- أيوة يا اسامة قرية، مهتمك الجاية في قرية الشيخ ...

***

كعادتهم تجمعوا برسالة واحدة من اسامة، حسنًا، بل بأمرٍ صارمٍ منه، فهو يعلم أنه إن تهاون معهم فلن يلقى سوى إهمال وتراخي وتجاهل.

مالت هند بجسدها على عفاف، تحاول فهم ما تردده منذ الصباح:

- يعني ايه يا عفاف؟؟ مش هتعملوا فرح؟!

تركت عفاف قطعة التفاح التي كانت تقضمها في محاولة لإخراج كامل غيظها فيها، فأسامة العزيز منذ تقدم لخطبتها وهو يتهرب من تحديد موعد زفافهما:

- فرح ايه يا هند؟؟ بقولك جالي امبارح عشان يتخانق معايا ويروح ينام قرير العين.

- ويتخانق معاكِ ليه إن شاء الله؟؟ هو أي فرد عضلات وخلاص؟؟

هزت عفاف رأسها توافق حديث هند، وقد سأمت من تصرفات أسامة الغريبة في الآونة الأخيرة، كلما رآها تتنفس اعترض على تصرفها، لكنها تخشى أن تخبر هند بذلك لئلا ينتهي الجدال بقتل أحدهم، خاصة وأنها هي المخطئة في جميع المشاكل بينها وبين أسامة.

- هو كان متعصب عشان عرف أنى قعدت في استراحة الغدا مع فاروق اللي في الفريق

التاني، ومنين تقعدي معاه وبتاع ايه؟؟

صمتت قليلًا ثم استفسرت بأملٍ غبي:

- تفتكري يكون بيغير عليا يا هند؟؟

تشنجت ملامح هند ولم تجبها، بل سحبت منها قطعة التفاحة تقضمها بغيظٍ نافس غيظها:

- يا طوله باله عليكِ، أنا مبقتش عارفة الاقي حجج ادافع فيها عنك، هتخليني ارفع شعار (المرأة للمرأة ما عدا عفاف)

صاحت عفاف بتذمر شديد من طريقة حديث هند معها:

- أنا عملت ايه دلوقتي؟! هيبقى أنتِ واسامة عليا؟؟

صمتت، ثم نظرت لجلال الذي كان مندمجًا كعادته في حديث طويل لا ينتهي عبر اسلاك هاتفه، ولا تدري حقًا من أين له بتلك الأموال الكثيرة لشحن هاتفه.

- جلال..

نظر جلال بطرف عينيه صوب عفاف، يرفع أنفه بتكبر غريب لا تجد له عفاف سببًا، لكنها رغم ذلك جذبت كُم ثيابه:

- جلال.

انتزع جلال ثيابه من بين أناملها بتأفف:

- استني يا عفاف مش فاضيلك، عندي مكالمة مهمة.

وسريعًا أتاه الرد من عفاف على هيئة ضربة قوية على كتفه:

- مكالمة مهمة مين يا جلال أنت صدقت نفسك؟؟ ياض أنت محدش بيعبرك غير شركة الاتصالات، اقفل التليفون عايزاك.

اغلق جلال الهاتف بحنق شديد وهو ينظر لها بترقب لتسارع هي بطرح طلبها على مسامعه، تلعن الزمن الذي دار بها حتى اوقعها تحت رحمة جلال لتطلب منه مساعدة:

- بقولك ايه يا جلال متعرفش أسامة م

قاطع جملتها صوت فتح الباب، ومن ثم دخول أسامة الذي قابلهم ببسمة واسعة فخورة

لاتباعهم أوامره بحذافيرها دون أن يحيدوا عنها..

- متعرفوش قد ايه انا فخور بيكم وأنا شايفكم قاعدين كده عادي من غير خناق ولا حوارات.

أشارت له عفاف بأصبعها:

• ما هو أنت لو كنت استنيت دقيقة كنت هتيجي تلاقي الخناق والحوارات.

نظر لها أسامة بملامح مقتضبة، لتزفر هي وقد ضاقت به ذرعًا، ملت غضبه وسئمت نظراته:

- ما كفايك قمص بقي، مكانتش كوباية مانجة اللي شربتها منه، هتطفحهالي يا اسامة.

رفع أسامة رأسه يتجاهل جميع مشاكله الشخصية التي تتحدث عنها عفاف، مزيحًا أموره جانبًا واضعًا مكانها عمله وهو يلقي بالملف أعلى الطاولة واضعًا يديه في جيب بنطاله ببسمة واسعة:

- المهمة التانية وصلت يا جماعة، والمرة دي اهم من اللي فاتت، حد يعرف ليه؟؟

وصمت عم المكان حتى كاد صوت صرصور الحقل يرنّ في أذن أسامة مصحوبًا بنقيق الضفدع، ولا أحد يجيب بكلمة، وحينما طال الصمت قرر جلال أن يُجرب حظه ويرفع يده كتلميذ في المدرسة:

- أنا ممكن أجرب اجاوب، ممكن تكون أهم عشان هيدونا علاوات وفلوس اكتر؟!

ابتسمت جميع الوجوه ونظروا بلهفة لأسامة في انتظار تأكيد منه، لكنه خيّب آمالهم وقال بجدية ومنطقية:

- لا طبعا مفيش الكلام ده، المرة دي أهم من المرة اللي فاتت عشان نثبت للكل أن اللي حصل اخر مرة مكانش بالحظ أو صدفة.

- أيوة بس هو كان بالصدفة فعلا.

نظر أسامة صوب هند وقال محذرًا:

- بس محدش يعرف كده.

هزت رأسها تشير له بإبهامها، ومن ثم استمعت له باهتمام كما الجميع، يتلو عليهم شروط المهمة وما يجب فعله:

- المرة دي المهمة غير كل مرة، المرة دي هنروح قرية في جنوب الجيزة، القرية دي من فترة تقريبا شهور وفيها حالات اختفاء غريبة.

تحدثت عفاف بتساؤل تقاطع حديثه:

- طب ما ممكن تكون خطف، ليه بتقول عليها غريبة؟!

هز أسامة رأسه يتوسط مقعده وينظر للأعين حوله بجدية يخبرهم بما رآه في الملف الذي درسه سريعًا في طريقه:

- ممكن ده مش مستبعد خالص، لكن كلمة غريبة هنا كنت اقصد بيها أن الحالات اللي بتختفي الرابط بينهم هو اللي غريب، يعني الخطف مش بيكون عشوائي ابدًا، لا ده كأن شخص مخطط كويس اوي للموضوع، زي الجرايم المتسلسلة كده.

وكلمات أسامة زادت من اشتعال حطب الفضول في رؤوس الجميع، الكل ينظر له باهتمام في انتظار المعلومات التالية لحديثه، ولم يتأخر عليهم أسامة وهو يقول بتفكير:

- كل الحالات اللي اختفت تحت سن عشر سنين، مفيش ولا واحد من اللي مخطوفين اكتر من عشر سنين.

نظرت عفاف لهند قبل أن تقول:

- كام واحد اختفى؟؟

- حتى اللحظة اللي بنتكلم فيها دي اختفى ٧ اطفال منهم ٣ عشر سنين والباقي تحت عشر سنين.

قال جلال بتفكير في حديث أسامة:

- طب احنا المفروض نخاف من الموضوع؟؟ اقصد يعني مفيش خطر علينا؟؟

حدق الثلاثة بجلال في حنق شديد وغضب ليبرر الاخير حديثه:

- ايه بتبصوا كده ليه؟؟ آخر مرة كانوا هيضحوا بينا زي الخرفان ليلة العيد، مش لازم اطمن على نفسي؟؟ أنا لو مرجعتش سليم هيبقى فيها انتحار جماعي.

استفز جلال هدوء عفاف المؤقت بسبب غضب أسامة منها وهي تسخر من ذلك الاحمق الذي يظن نفسه معشوق الجماهير، كأنها وأخيرًا وجدت متنفسًا لحنقها وغضبها من أسامة داخل جلال المسكين الذي لا يمر ثانية إلا ويناله من لسانها ما لا يرضيه:

- اياكش تكون مصدق نفسك يا جلال أنك مقطع السمكة وديلها، ده انت آخر ست اتكلمت معاها كانت أم ضحى بتاعة الخضار اللي قدام بيتك، فوق كده وانزل على أرض الواقع معانا، بعدين بيقولك اطفال تحت سن العشر سنين، الحلو بقي ماله بيهم؟! لسه بتسنن؟؟

لوح جلال بيده معترضًا على حديثها، لا يرغب بخوض مهمة يعود بها بلا أحد اعضائه أو الأسوأ لا يعود بالمرة:

- ما آخر مرة كانت بنات بس وكنت هروح في الرجلين برضو.

قاطع ذلك الجدال أسامة الذي ملّ شجاراتهم، وكأنهم ينتظرون منه كلمة ليجمعوا حطب غضبهم سريعًا مشعلين الأجواء من حولهم:

- بس أنت وهي خلينا في المهمة وبعدين ابقوا اتخانقوا براحتكم.

عم الصمت مجددًا ليتنهد هو براحة ويبدأ اخبارهم بما ستكون عليه الأمور:

- طبعًا وعشان نضمن أن المتسبب في الحالات دي ميشكش في أي حاجة، فاحنا هنروح متنكرين كالعادة.

صمت الجميع باهتمام في انتظار توزيع الأدوار وعفاف تتلو الدعوات ألا يكون حظها هذه المرة كما سابقتها، لا تريد أن تكون مربية اطفال أو خادمة، لو تركت لهم حرية الاختيار سيصل بها الأمر يومًا لتصبح جارية، ليمنحها أسامة ما تريد وهو يقول:

- هنروح على هيئة قافلة طبية خاصة بالتطعيمات ضد شلل الاطفال، وده هيسهل لينا احتكاك أكبر بالأطفال وأهلهم.

واخيرًا خرجت هند عن صمتها:

- أيوة يا عو بس احنا ايه علاقتنا بالطب؟؟ احنا مش بنفهم حاجة في الموضوع.

حرّك أسامة كتفه بهدوء شديد مجيبًا في بساطة متناهية وهو يشير عليهم:

- وهو أنتم كان ليكم علاقة بالتحقيق أو بتفهموا فيه؟؟ واهي الدنيا ماشية وربك ساترها معانا لأجل النية الطيبة مش اكتر.

هزت هند رأسها وقد اقتنعت بما يقول، لولا حديث جلال الذي ما جاء لهذا الفريق سوى ليعترض على كل كلمة:

- أيوة يا اسامة بس احنا هنديهم حقن!؟ أصل انا مش بعرف ممكن نخليها برشام؟؟

- يؤسفني أقولك يا جلال أنها المفروض تكون حقن، فاللي ملوش في الحقن هيعمل نفسه رايح يجهز الأدوية وياخد بيانات الاطفال وهكذا، مين فيكم مش بيعرف يدي حقن؟؟

وبمجرد الانتهاء من جملته رفع الثلاثة أيديهم في الهواء في علامة أنهم جميعًا لا يفقهون شيئًا عن الإبر الطبية، ابتسم أسامة بسمة مصدومة مما يرى، قبل أن يرفع هو الآخر يده ويقول:

- ولا أنا بعرف ادي حقن ...على خيرة الله يا شباب.

***

بداية يومٍ من المفترض أنه ربيعي ممتع تتراقص به الطيور أعلى الأشجار، وتتفتح به الزهور ناشرة رحيقها في الأجواء، ونسمات الهواء الباردة تنعش النفوس، لكن ومتى كان الربيع في مصر بمثل تلك الصورة النمطية المعروفة في العالم أجمع، الربيع هنا يعني أتربة وعواصف واختناق حتى الموت لأصحاب مشاكل الأنف.

وفي وسط ذلك الغبار شقت إحدى السيارات الحمراء الصغيرة طريقها صوب وجهة محددة، تسير على طرق غير ممهدة لسير انسان حتى، فما بالكم بتلك السيارة المسكينة التي تكاد تلامس الأرض؟!

في الأمام يجلس أسامة خلف المقود وجواره جلال، أما عن الخلف فقد قررت عفاف أن تعلن غضبًا مقابلًا لغضب أسامة وترفع رايات العصيان، وتجلس جوار هند التي كانت تتأفف من ذلك الجو القاتم الحار، والأتربة التي كادت تحطم نوافذ السيارة وتقتحم مراكز الشم لديهم مانعة إياهم من التنفس.

- فاضل قد ايه يا عو خلاص مش قادرة اتنفس.

كانت تلك صيحات مستنكرة خرجت من هند في الخلف، ليصلها صوت أسامة الذي يقود منذ ساعة ونص تقريبًا:

- خلاص اعتقد قربنا.

تذمرت عفاف وهي تحاول البحث عن سبب لتتشاجر معه:

- قولتلك ناخد عربية بابا أحسن من مخلفات الحرب اللي احنا راكبينها دي، كان لازمتها ايه البهدلة يا عو؟؟

رمقها اسامة عبر المرآة الأمامية باستنكار شديد، ثم هتف موضحًا مقصده من إحضار تلك السيارة تحديدًا:

- وهو من امتى الدكاترة اللي بيروحوا القرى بيدخلوا عليهم بجيب أحدث موديل يا مدام عفاف؟؟ ده احنا لو عايزين نوصلهم أننا تجار مخدرات مش هندخل عليهم بعربية زي عربية ابوكِ.

صمتت عفاف تدرك صدق مقولته، ولم يقطع الصمت الذي ساد عقب جملة أسامة سوى اصوات الشخير الصادرة من جلال، والذي ضرب بكل الظروف البيئية حوله عرض الحائط ونام نومة هنيئة لا يفسدها سوى تأففات هند، واعتراضات عفاف.

واخيرًا توقفت السيارة على مشارف البلدة، يحدق أسامة في لوحة معدنية يكاد الصدأ يطمس نصف حروفها وقد خُطّ عليها (قرية الشيخ).

ابتسم أسامة يتحرك بالسيارة يعبر تلك اللافتة وهو يهتف بحماس شديد:

- اصحوا يا شباب وصلنا خلاص الـ...

ولم يكمل كلمته بسبب توقف السيارة فجأة بعنف شديد كما لو أنها اصطدمت بشيء قوي، فتح أسامة عيونه وهو ينظر للجميع يطمأن أنهم بخير.

هبط من السيارة وتبعته كلٌ من عفاف وهند، بينما حتى ذلك الحادث الصغير فشل فشلاً ذريعًا في إنهاء تلك الغيبوبة التي سقط بها جلال وظل نائمًا كما هو.

نظر أسامة بتعجب لتلك الاخشاب الضخمة المتناثرة على بداية طريق القرية، استدار حوله يحاول تبين أي شيء مريب عدا تلك الأخشاب التي أوحت له بجو مخيف ذكره بأمر " المطاريد" قديمًا، وجواره هند التي كانت تحاول فهم سبب وجود مثل تلك الاخشاب وبهذا الشكل الذي ظهر مقصودًا.

وعفاف التي لم تشاركهم الصمت أو التفكير سارعت لرمي الاحتمال الذي يدور بعقلها:

- معقول ده يكون فخ من قطاع الطرق عشان يوقفونا؟؟

نظر لها أسامة مفكرًا فيما تقول، لا يستبعده البتة، فهو أصبح يرى العجب والعُجاب في تلك المهمات.

- ايًا كان السبب ساعدوني نشيلهم من هنا، خلينا نكمل طريقنا بدون عطلة.

وسريعًا انحنى يمسك بالقطعة الخشبية وهو يصرخ باسم جلال:

- جلال، اصحى يا زفت تعالى ساعدني اشيل الخشب ده.

لكن جلال في السيارة يتقلب بين أحلامه السعيدة، حيث يجلس أعلى مقعد عالي يراقب من علياه فتيات عدة يهتفون باسمه هائمات عاشقات لذلك الموهوم، رفع ذراعه ليلوح لهم، لكن فجأة شعر أن يده اصطدمت في شيء كالشعر.

نظر حوله ببلاهة قبل أن يستيقظ بفزع على صوت رجولي اجش جواره:

- جرا ايه يا جدع أنت ما تشيل ايدك من على شنبي بدل والله اقطعهالك.

انتفض جلال صارخًا وهو يتراجع سريعًا صوب مقعد السائق، وقد جذب صوت صرخاته الجميع ليلتفوا حول السيارة وحول ذلك الرجل المريب الذي يحمل فوق ظهره سلاحًا متشحًا بعباءة سمراء اللون لكن باهتة المظهر، وفوق وجهه ملامح إجرام واضحة.

اقترب منه أسامة بهدوء متسائلًا:

- أنت مين يا اخ أنت؟!

- أنتم اللي مين وبتعملوا ايه في البلد هنا؟؟

نظر الجميع لبعضهم البعض بعدم فهم، حتى تحدثت عفاف بحنق:

- مش فاهمة فيها ايه يعني لما نيجي البلد بتاعتكم؟؟ أنتم عاملين حصار ولا ايه؟؟

تحركت عيون الرجل ببطء من وجوه الرجال، حتى استقرت على عفاف التي أخفت جسدها ببطء خلف أسامة وهي تهمس بصوت خافت:

- أسامة الحق ده بيبصلي..

نظر لها أسامة بغيظ:

- تفضلي تغلطي واول ما تعملي حاجة تستخبي في أسامة.

زفر، ثم نظر لذلك الرجل بغضب مكتوم لنظراته صوب عفاف التي أصبح جسدها متواريًا بالكامل خلفه:

- بصلي هنا لو سمحت يا ريس، احنا كنا جايين من المشفى العام وعاملين حملة تطعيمات للقرى كلها، والمفروض أخدنا أوامر نبدأ من القرية هنا...

حدجه الرجل بنظرات مريبة جعلت جلال هو الآخر يتحرك ليختبأ خلف أسامة ممسكًا بذراعه جيدًا هامسًا:

- بلاش تعصبه بكلامك يا اسامة لأحسن شكله بياخد على خاطره بسرعة، بص بيبصلنا ازاي؟؟

ولم يبق أمام الرجل سوى أسامة، وهند التي منعتها مبادئها أن تختبئ من رجل أو تتوارى منه خيفة خلف رجل آخر، فهي لم ولن تفعلها ما دامت حية؛ لذلك رفعت رأسها لأعلى بتكبر واضح، لكن فجأة انتفض جسدها واختض بقوة حينما أطلق الرجل صيحة مرتفعة تسببت في اختلال هند وتحركها بعيدًا صوب ظهر أسامة.

والرجل يتحدث بعفوية شديدة:

- أيوة أيوة فهمتكم، بس أنتم لازم عشان تعملوا الكلام اللي بتقولوه ده تاخدوا رأي الشيخ.

أخرج جلال رأسه من خلف ظهر أسامة يحرك رموشه الكثيفة التي تعلو أعين سوداء جميلة مخرجًا صوته بحنق:

- ليه ناخد رأي الشيخ؟؟ الموضوع مش حرام على فكرة ومش محتاجة فتوى عشان يحصل، أنا فاكر وانا صغير كنت باخد تطعيمات عادي.

استدار له أسامة يهمس بلا صوت:

- اسكت، اسكت خالص.

رمقه جلال بغيظ شديد، لكنه فقط صمت ممنيًا نفسه بترقية سريعة تجعله يدهس أسامة أسفل أقدامه ويهينه في كل شاردة وواردة.

واسامة أبصر كل تلك الأحلام - التي تمثلت في بسمة بلهاء على وجهه - واضحة وضوح الشمس:

- بطل احلام يقظة شوية يا جلال.

قاطع نية جلال بالتحدث صوت الرجل الذي أخذ يحرك أنظاره عليهم جميعًا:

- لا الشيخ ده هو كبير البلد، بنقوله شيخ.

ابتسمت عفاف تردد بصوت منخفض مرتعش قليلًا:

- اه عشان كده اسمها قرية الشيخ؟!

ولم يصل تحليلها لذلك الرجل الذي أشار للسيارة بتحذير:

- العربية دي تفضل هنا لأن مش هينفع تدخل القرية، هاتوا اللي تحتاجوه منها وحصلوني.

ورغم الحيرة التي ملئت أفئدة الجميع، إلا أن أحدهم لم يعلق على شيء، وحملوا معهم صندوق من المفترض أنه خاص بالتطعيمات، وحقيبة خاصة بأدوات عفاف، وأدوات جلال الخاصة.

تحركوا خلف ذلك الرجل المريب بخطوات بطيئة لأجل مقاومة الانزلاق على الأرضية الرطبة اسفلهم، والأمر محير إذ أن تلك الأيام من الربيع لا تشهد أمطارًا في العادة.

لكن الأمر لم يكن محط اهتمام الأربعة بقدر ذلك المبنى الشاهق الضخم الذي يتوسط اراضي زراعية كثيرة، مبنى قد تحسبه اثريًا من النظرة الأولى.

وللإجابة على تلك التساؤلات التي علت ملامحهم قال الرجل معرفًا إياهم:

- ده بيت شيخ القرية...

خطى الجميع صوب الداخل، حيث العديد من النباتات تحد المنزل، وأثناء طريقهم لمحوا على الطرف الآخر من الطريق عدة منازل صغيرة مرتصه يقف أمامها رجال كثر بأسلحة بيضاء كمن يستعد لحربٍ شرسة.

الأمر يزداد تعقدًا والأمور لم تكن هينة كما تخيلوا، أين ذلك الدوّار الصغير البسيط الذي رسموه في عقولهم؟؟ ما علاقته بهذا المكان المهيب؟!

اقترب جلال من أسامة هامسًا قريبة:

- هو احنا ليه مش بناخد مهمات في مكان فرايحي؟؟ ليه كل مرة نكون في حتة زي كده اول ما تشوفها قلبك ينقبض.

ابتسم أسامة ساخرًا:

- عشان الجرايم بتحب الإثارة والتشويق يا جلال.

وبمجرد أن دخل الأربعة للمنزل ارتفع صوت رجولي جعل الجميع يستديرون لمرشدهم ظنًا أنه هو المتحدث، لكن الصوت لم يخرج منه، بل من رجلٍ آخر يضاهيه طولًا سدّ عليهم طريقهم:

- خير يا جعفر مين دول وجايبهم بيت الشيخ ليه؟!

اجابه المدعو جعفر بهدوء:

- دول جايين من مستشفى في مصر يا جابر عشان التطعيمات..

حدق المدعو جابر بالجميع جيدًا، وقد تراجعت عفاف للخلف تضم حقيبتها لصدرها استعدادًا للهرب إن لزم الأمر، وهند رفعت حاجبها لا تعجبها تلك النظرات التي يحاول بها ذلك الغبي فرض سيطرته من خلالها، وجلال العزيز كالعادة أدلى بما لاحظه وهو يهمس لأسامة:

- هو ده المجرم يا اسامة، اقبض عليه.

نظر له أسامة باستنكار فأردف جلال موضحًا:

- اسمع مني، أصل لو ده مش المجرم، امال المجرم عامل ازاي؟؟

قاطع جابر ذلك الحوار الجانبي وهو ينظر لهم بتدقيق، ثم قال بهدوء:

- أيوة اتبلغنا بأنهم جايين، بس المفروض الكلام ده كان يبقى بكرة.

ابتسم أسامة سعيدًا بنجاح خطوته الأولى والتي تكمن في إرسال اشعار مفبرك منه ليخبرهم بقدومهم، لكن وبسبب خطأ الاحمق جلال والذي لم يُحسن تقدير الوقت كتب تاريخ الغد وليس اليوم.

- أيوة فعلا المفروض ميعادنا كان يبقى بكرة، بس حبينا نخلص لأن فيه قرى تانية كتير وكمان الجرعات وصلت بدري وهي ليها تاريخ صلاحية معين.

ابتسمت عفاف بفخر شديد برده، وودت لو تصفق له وتحييه على ثباته الكبير.

ويبدو أن أسامة لم يقنع فقط عفاف، بل اقنع كبير الخفر نفسه، والذي أشار لهم صوب إحدى الغرف يقول بهدوء:

- تمام اتفضلوا الشيخ عنده جلسة، وهيمر على البلد وهيكون معاكم.

تحرك الاربعة صوب إحدى الغرف التي كانت تمتلئ بأرآئك القديمة وصوت هند خرج حانقًا متهكمًا:

- النبرة اللي بيتكلم بيها مش عجباني.

نظر لها أسامة ساخرًا:

- أنتِ مفيش نبرة راجل بتعجبك يا هند.

حدقت هند بجلال الذي بدأ يدور في المكان بحثًا عن شبكة لهاتفه:

- لا ساعات بتعجبني نبرة جلال لما يعيط من الخوف.

تحركت أعين أسامة صوب أصغرهم سنًا والذي كان نفسه جلال، حيث إن أسامة هو أكبرهم عمرًا، يليه عفاف، ومن ثم هند، واخيرًا جلال الذي يصغر هند بعامين، لكنه رغم ذلك يستمر بالإنكار.

أشار لهم أسامة بالتجمع ليخبرهم ما يريد قبل أن يأتي أحدهم، وقد وجدها فرصة جيدة لتقسيم الأدوار المبدئية، وكان ذلك بالطبع بعد تأكده من خلو الغرفة من أي كاميرات مراقبة..

- بشكل مبدأي كده هنحط جابر تحت المراقبة، وكمان العمدة، وأي شخص يظهر قدامنا نشك فيه هنحط تحت المراقبة، باختصار مش عايز نهمل حد ولا نستبعد حد.

صمت يرى ملامح الجميع المفكرة في حديثه، ثم استطرد يكمل:

- اهم شيء أول ما نبدأ الشغل عايزين نستغل أننا هنحتك بالأطفال وأهاليهم ونحاول نعرف كل شيء عن حوادث الخطف.

نظر لجلال الذي كان يتأفف محركًا هاتفه في الجو:

- جلال أنت معايا صح؟!

زفر جلال بصوت مرتفع يجيبه دون تحكم في لسانه:

- خلاص يا عو عرفت أننا لازم نراقبهم كلهم..

اتسعت عين أسامة وهو يستدير للمكان بسرعة حوله يطمئن أن أحدًا لم يسمع كلمة منه، ثم انقض يلكمه بغيظ مسقطًا إياه ارضًا:

- أنت ياض غبي؟؟ ما تروح تناديهم يقعدوا معانا أحسن، يا غبي يا متخلف.

زفر ثم نظر للجميع محذرًا:

- اقسم بالله أي حركة غباء من أي حد هخلص عليه سامعين؟؟

هز الجميع رؤوسهم بسرعة كبيرة تجنبًا لغضب أسامة، في اللحظة التي ارتفعت فيها اصوات سعال أنثوية وكأن هناك من يود الدخول.

نظر الأربعة صوب باب الغرفة، لكن شخص فقط هو من انتفض جسده، ولم يكن ذلك الشخص سوى جلال الذي ابتسم لرؤية فتاة شابة تحمل بين يديها صينية عصائر وبعض الحلوى المنزلية تضعها بخجل على الطاولة أمامهم:

- أي حاجة تاني يا بهوات؟؟

تلقف منها جلال الصينية سريعًا:

- من يد ما نعدمها يا غالية.

خجلت الفتاة ونظرت ارضًا سريعًا، والجميع يحدق في جلال باستنكار شديد، لكن لم يأبه لهم جلال البتة وهو يطيل بها التحديق، لتخجل الفتاة مجيبة:

- تسلم يا سي...

- جلال، اسمي جلال يا قمر.

ابتسمت له الفتاة بسمة صغيرة جعلت أعينه تخرج قلوب عدة وهو يسقط على الأريكة، لتغادر الفتاة خجلة مما حدث وكل ذلك تحت ثلاث أزواج من الأعين المستنكرة والمتعجبة..

وجلال كان في عالم آخر يردد بهيام:

- دي قالتلي يا سي جلال.

لكنه استفاق من ذلك الحلم الجميل على ضربة قوية من هند جعلته يطلق تأوهًا عاليًا:

- ما تحترم نفسك، عمال تعاكس في البنت عيني عينك كده؟؟ صحيح شوية رجالة عايزين رصاصة.

نظر أسامة بلوم لجلال:

- عجبك كده؟! لازم تخليها تسم بدنًا كل يوم بسببك؟؟

لم يفهم جلال ما يحدث، لكن أسامة لم يعط له حتى فرصة الاستفسار عن مقصده وهو يقول بصوت خافت:

- نركز كده شوية خلي ربنا يكرمنا في الموضوع.

وبالفعل اولى الجميع انتباهه لأسامة، ليشرع الاخير يشرح لهم ما يجب فعله في يوم الغد حينما يبدأون العمل، لتمر عليهم ساعة واثنتان حتى اقترب وقت المغيب..

تململ أسامة في جلسته حانقًا، فها هو يومهم الاول يضيع بلا فائدة، وكل ذلك فقط لانتظار إذن ذلك المسمى شيخ القرية ليبادروا بالعمل.

وما هي إلا دقائق قليلة حتى ارتفع صوت صراخ في البهو الخارجي للمنزل، وقد رنّ صداه في المكان بأكمله لرجلٍ يصيح متهكمًا ساخرًا:

- وانا كل ما واحدة تضيع ابنها هجري ادور عليه يا جابر؟ ليه هشتغلّهم دادة؟! ما كل واحدة تاخد بالها من عيالها وبلاش تقرفنا، قولنا بلاش حد يخرج بعد ما الليل يليل، لكن نقول ايه في عقول الجهلة اللي عايشين معاهم.

صدر صوت جابر هادئًا متزنًا بشكل كبير:

- أيوة يا شيخ بس أنت اللي ماسك القرية كلها، ودي مش حالة ولا اتنين.

- يعني ايه يا جابر؟! عايزني اعمل ايه في الموضوع؟! اجري اراقب عيال القرية عيل عيل؟! ما أنت شايف بنفسك أنى عملت كل اللي أقدر عليه بس مقدرتش ألاقي حد.

ابتلع جابر ريقه مرددًا بصوت خافت:

- ممكن يعني حضرتك تبلغ الشرطة وهو يـ ...

قاطع جملة جابر صوت اصطدام عكاز الشيخ بالأرض، ومن ثم هديره الغاضب:

- أنت بتهزر؟؟ شرطة ايه اللي يدخل القرية ويفضل يدور على العيال وريحة الموضوع تفوح، أنت ناسي أن العمودية ممكن تضيع مني واني مرشح نفسي نائب عن الدايرة بتاعتنا كلها وممكن كل ده يضيع في غمضة عين؟؟

فتح جابر فمه يحاول تبرير حديثه:

- أيوة بس الأهالي بقوا مرعوبين من الفزاعة و.

- فزاعة ايه يا جابر؟! أنت كبرت وخرفت، طب هما شوية جهلة ومصدقين ده، أنت تصدقه؟؟

كاد جابر يضيف حديثًا آخر لولا صوت تحطيم شيء زجاجي عنيف صدر من غرفة الضيوف ليتسبب في انتفاضة أجساد الاثنين وخروج صوت جابر متذكرًا:

- أنا نسيت خالص أن فيه ضيوف هنا...

***

الفصل الثاني

ولكشف الغموض تحتاج لسحبة صغيرة، سحبة لخيط الاسرار حتى يتكوم بين أناملك وتبدأ من عنده رحلتك في كشف الغموض الذي يحيط بك..

وحديث شيخ القرية الذي تسرب لآذان الجميع كان هو بداية الخيط لحل ذلك اللغز، كلمات كثيرة سجلها عقل هند على هيئة معلومات مرتبة ستستخدمها فيما بعد، لكن وحين اندمج الجميع مع كل ذلك أسقطت عفاف بالخطأ أحد الاكواب الموضوع أمامها لتتسع الأعين في هلع وتوجهت من فورها صوب عفاف التي همست برعب:

- هي... هي اللي وقعت لوحدها.

عض أسامة شفتيه حانقًا منها، وقبل أن يبادر ويوبخها على فعلتها اقتحم جابر والشيخ الغرفة عليهم، وقد أشار جابر لهم بملامح مقتضبة معرفًا عنهم:

- دول اللي جايين عشان التطعيمات يا شيخنا.

دارت أعين الشيخ بين الجميع بنظرات جعلتهم يتوترون لثواني قبل أن تتجمد ملامحهم بهدوء تام، وأسامة كان أول من خرج من حالة التوتر التي سادت وهو ينهض ليرحب به مبتسمًا:

- مساء الخير يا فندم، بنعتذر على الازعاج، لكن احنا في الحقيقة مستنيين من الصبح.

نظر الشيخ ليده الممدودة ثواني قبل أن يرفع خاصته عن عكازه ويصافحه، ثم قال بهدوء وبسمة هادئة:

- نورتم البلد يا دكتور..

- ده بنورك يا فندم.

نظر الشيخ للجميع الذين نهضوا ووقفوا جوار أسامة وقال بنبرة غريبة:

- أنتم كلكم من القاهرة؟؟

هز أسامة رأسه ببطء شديد واجاب بكلمات موزونة ومدروسة:

- أيوة يا فندم كلنا من القاهرة.

- معنى كده أنكم ملكمش مكان تقعدوا فيه هنا؟!

هز أسامة رأسه بنعم وهو يراقب ملامح الشيخ وطريقة حديثه، بينما جلال يهمس في أذن أسامة بنبرة منخفضة:

- قوله يقعدنا عنده هنا يا أسامة.

نغزه أسامة في خصره بقوة مانعًا إياه من الحديث، ثم أنصت باحترام مصطنع للشيخ الذي قال بجدية:

- تمام تمام، ممكن البنات يفضلوا هنا في البيت مع حريمنا، وأنتم هشوفلكم مطرح تقضوا فيه الكام يوم اللي قاعدينهم..

تمتم جلال في اعتراض لم يصل لأذن العمدة:

- وعلى ايه اي مطرح، شوفلنا أي علبة كبريت ننام فيها.

ارتفع صوت الشيخ، ينادي بصوت مرتفع هزّ جدران المنزل وتسبب في ارتجاف جسد عفاف التي تراجعت للخلف.

- فــاطنة ...يا فاطـنة.

تحفزت جميع حواس جلال وهو يحدق في الباب منتظرًا أن تطل عليه تلك الفتاة الجميلة مرة أخرى، لكن ما حدث هو أن دخلت فتاة أخرى تكبر الاولى عمرًا، لكن مع ثياب أفضل وهيئة تعبر عن مكانتها هنا.

أشار لها الشيخ معرفًا:

- دي فاطنة مراتي.

نظر لها الجميع ورحبوا بها في احترام شديد، ثم قال الشيخ:

- روحي اجري هاتي مفتاح بيت أهلك عشان نقعد فيه ضيوفنا.

نظرت له فاطمة بتعجب، ثم حدقت في الضيوف:

- يقعدوا في بيت ابويا؟؟

ضرب الشيخ بعكازه دلالة على ضيقه من أي حوار:

- امال اقعد رجالة غريبة وسط حريمي؟؟ انجري اعملي اللي قولتلك عليه.

هزت فاطمة رأسها تركض بسرعة صوب الطابق العلوي والشيخ يتابعها بملامح جامدة.

في حين أن عفاف اقتربت من أسامة هامسة برعب:

- أسامة أنا مش عايزة أفضل هنا مع الشيخ ده، ده شكله مرعب.

ردد أسامة بقلة حيلة:

- والله أنا من وقت ما جيت ما شوفت حد مش مرعب هنا يا عفاف.

ثواني وهبطت فاطمة تمد يدها بالمفتاح للشيخ وهي تقول في طاعة وبسمة صغيرة ترتسم على شفتيها:

- اتفضل يا شيخنا، بس هو لمؤاخذة يعني البيت محتاج تنضيف لاحسن هو مقفول من سنين طويلة.

أشار لها الشيخ بالتوقف عن الثرثرة، ومن ثم أشار صوب هند الحانقة من تصرفاته مع فاطمة، وعفاف التي تمسكت بها، وقال بأمر نافذ على رقاب الجميع:

- خدي البنتين للاوضة الضيوف وضايفيهم كويس اوي، وأنت يا جابر، خد المفتاح ووصل ضيوفنا لبيت اهل فاطنة وابعتلهم أي واحد يساعدهم ينضفوا أي اوضة ليهم هناك يقضوا فيها اليومين دول.

صمت ثم استدار فجأة لهم على حين غرة وتساءل:

- ألا هو أنتم ناويين بإذن الله تشرفونا قد ايه؟؟

ابتلع الجميع ريقهم ولم يجيبه أحدهم تاركين الأمر بين يديّ أسامة، فهو في النهاية قائدهم ومن يحدد كل شيء، ولولا أن أسامة خشي أن يُشك بأمرهم لكان أخبره شهرًا، لكن هو فقط حاول الإجابة بشكل محايد:

- على حسب عدد الأطفال في القرية يا شيخ.

هز الشيخ رأسه بتفهم واجاب بكلمات مقتضبة قبل أن يتحرك ويرحل:

- معناها مش مطولين معانا..

ولم يفهم أسامة أكانت تلك كلمات عفوية، أم مقصودة لأمرٍ يعلمه هو؟!

لكن ودون أن يمنحه جابر فرصة الإجابة، حمل عنهم الحقائب وأشار لهم باتباعه صوب منزل أهل فاطمة الذي يقع على بعد شارعين من منزل الشيخ.

بينما نظرت فاطمة للفتيات ببسمة لطيفة:

- اتفضلوا معايا، اتعشيتوا ولا اعملكم اكل؟؟

***

تحرك الاثنان خلف جابر يسيران في طرقات القرية التي كانت تخلو من أي طفل، جميع من بالخارج كبار فقط، أهذه عادات أم أن لِما يحدث يدًا بذلك؟!

وأثناء الطريق للمنزل توقفت اقدام أسامة يرى سيدة تلتحف بالسواد وهي تدور في القرية تردد بصوت مذبوح ودمعات وغصات صاحبت نبرتها:

- مجدي ... أنت فين يا حبيبي، أنت فين يابني؟!

ضيق أسامة ما بين حاجبيه بشك وهو يتحرك صوب تلك المرأة التي كانت تتلمس طيف طفلها في جميع طرقات القرية تبكي وتنتحب وتتوسل الجميع ليساعدونها، وما كاد يصل لها أسامة حتى سمع أحد الرجال يردد بشفقة:

- الست عقلها لسع من يوم ما ابنها راح، ولسه يا عالم هيحصل فينا ايه تاني.

نظر لها أسامة جيدًا يحاول أن يحفظ تفاصيل وجهها، فهو يعلم أنه سيحتاجها، لكن فجأة انتفض جسده على صوت خلفه يهتف:

- ايه يا دكتور مش جاي؟؟

نظر له أسامة قليلًا، قبل أن يتحرك صوبه متسائلًا بفضول:

- هي الست دي مالها؟؟ وفين ابنها؟!

نظر له جابر ثم أجاب ببساطة شديدة:

- محدش يعرف والله يا دكتور بيقولوا ضاع في الغيطان وناس تقولك طلع عليه حاجة، واللي يقولك حد خطفه، وفيه بقي اللي بيقول الفزاعة اخدته، محدش عارف حاجة من اللي بتحصل هنا.

نظر أسامة لجلال الذي كان جسده يرتجف بخوف وهو يتبلع ريقه، وعيونه أخذت تدور في المكان حوله برعب شديد، يفكر في أن مُرتبه ليس كافيًا للمخاطرة بحياته داخل إحدى روايات الرعب القديمة.

وصل الثلاثة أمام منزل مظلم، لكنه ضخم من ثلاثة أدوار تقريبًا، التصق جلال بأسامة وهو يهمس:

- أنا عايز اروح، قولهم هنغير المهمة دي يا اسامة أنا مش هدخل المكان ده.

نظر له أسامة بصرامة شديدة:

- جلال اتعدل، مش ناقصين احنا لسه في أول المهمة.

أجابه جلال بحنق ورعب:

- ما هي المصيبة أننا في الاول، يعني في الاول وشوفنا كل ده، امال على آخرها هيحصل فينا ايه؟؟ هيطلعلنا ابو رجل مسلوخة؟؟

فجأة أنارت المصابيح أمام المنزل، لكن أحد تلك المصابيح كانت الإنارة به ترتعش خالقة جوًا مناسبًا لجلال ليكمل قصة الرعب في عقله، أشار جلال للمصباح:

- اهو اتفضل اللمبة بتاعة كل الافلام الرعب اشتغلت ناقص شبابيك البيت تتفتح لوحدها و.

ولم تكتمل جملته بسبب فتح أحدهم نوافذ المنزل بقوة جعلت جلال يطلق صرخة حادة وهو ينتفض للخلف برعب شديد:

- اهو قولتلك والله.

لكن أطل جسد جابر من تلك النافذة وهو يضرب كفيه مبعدًا عنهما الغبار، يسعل بتعب:

- الدنيا هنا بايظة خالص، لو كده هبعت حد ينضفها ليكم عشان تعرفوا تقعدوا، تعالوا ادخلوا.

تحرك أسامة صوب المنزل، لكن جلال رفض التحرك خطوة داخله، فعاد له أسامة يجذبه بقوة وجلال يُلصق قدميه في الأرض أسفله يحارب للبقاء خارجًا:

- الله يكرمك يا عو سيبني أنا عايز انام في الطبيعة، منها وإليها يا اخي.

لكن أسامة جذبه بالقوة للداخل، حيث كان ينتظرهم جابر على باب المنزل، وحينما اقتربوا، أشار لهم ببسمة على المكان:

- البيت هيعجبكم متقلقوش، هو اساسا كان سرايا كبيرة وأهل الست فاطمة كانوا ناس مبسوطين فجهزوا البيت ده بأحسن ما عندهم، لكن من وقت ما ماتوا وهو مقفول.

تمتم جلال وهو ينظر في المكان وقد نسي خوفه مؤقتًا بسبب جمال المكان:

- الله يرحمهم، المكان فعلا جميل اوي.

ابتسم لهم جابر يشير على بعض الغرفة في الطابق السفلي:

- دول اوض الضيوف هبعتلكم بعد شوية ناس تنضفها، أصل البيت ده متفتحش من سنين طويلة، بس الظاهر كده قدمكم سعد عليه واهو اخيرا اتفتح.

ابتسم جلال وهو يرى الثرايا واللوحات الثمينة في كل مكان، المنزل ينطق بالرفاهية والغنى، فجأة توقف أمام لوحة كبيرة غير مفهومة كتلك التي يراها عادة في المتاحف تحت اسم "الفن التشكيلي"..

استدار صوب جابر الذي بدأ يعرف أسامة على المنزل وهو ينجرف في الحديث بحرية وعفوية شديدة عن كرم أهل المنزل وأخلاقهم:

- والله يا باشا القرية كلها بتقول إنهم ناس زي الفل، بس نقول ايه العين حق، في يوم اتقتلوا كلهم مرة واحدة.

توقف جسد جلال فجأة وتصنمت أقدامه مرددًا:

- اتقتلوا؟؟ هما ...هما اتقتلوا؟! في البيت هنا؟؟ في المكان اللي هننام فيه؟؟ ويا ترى مسكوا القاتل ولا يجي يخلص علينا احنا كمان؟؟

فتح جابر أحد النوافذ للتخفيف من حدة الغبار التي تكاد تصيبهم بضيق تنفس:

- متخافش مفيش قاتل ولا حاجة، دول بيقولوا أن اللهم احفظنا العفاريت هي اللي خلصت عليهم.

ابتسم له جلال:

- الله يطمنك والله.

وفي ثواني كانت صرخاته تعلو في المنزل ويتردد صداها بين جدرانه وهو يركض للخارج يولول ويرتجف رعبًا وأسامة يركض خلفه ليمسك به، وجلال يصرخ بكلمات غير مفهومة لجابر الذي كان يركض خلفه يحاول تهدأته:

- يا دكتور اصبر أنا هبعت اشتري ليكم بخور ونولعه وبإذن الله مفيش حاجة، هما هيطفشوا منه.

قال جلال وهو يتخطى درجات المنزل برعب شديد:

- بخور ايه اللي هيطفشوا منه؟! هو احنا في مستشفى الصدر ولا ايه، والله ما أنا قاعد

في المخروبة دي ثانية كمان، أنا مرتبي مش كبير لدرجة اموت ملبوس.

لكن وقبل أن يتخطى حديقة المنزل امسكه أسامة ينظر له بشر هاتفًا:

- جلال اقسم بالله أما اتلميت ورجعت واتظبطت لأضيعك سامع؟؟

- تضيع مين يا عو؟؟ ده بيقولك عفاريت وجثث وقتل، أنت مفكرني مستغني عن روحي ولا ايه؟! والله لأخد العربية وارجع اروح اشتغل في أي حتة إن شاء الله امسح بلاط المنظمة.

اتسعت أعين أسامة بشكل مرعب وهو ينظر حوله خوفًا أن يسمعه أحدهم، ثم جذب جلال له يردد من بين أسنانه:

- أنت لو مرجعتش دلوقتي أنا هـ ...

- ابني.. ابني يا ناس، ألحقوني، مليش غيره، ألحقوني يا ناس.

كانت تلك الكلمات الصاخبة هي ما قطعت تهديد أسامة لجلال وهو يلقيه بعيدًا عنه، ثم ركض بسرعة صوب الساحة الفارغة أمام المنزل ليرى الناس بدأوا يتجمعون حول السيدة التي تصرخ وتولول حتى أنها انهارت ارضًا تغرق نفسها بالرمال وتصيح بحرقة وقهر:

- أنا مليش غيره، بالله عليكم لتجيبولي ابني، بلاش هو، أنا معنديش غيره في الدنيا، ألحقوني.

اقترب منها أسامة بسرعة وهو يدفع الأشخاص بعيدًا عنها يراهم يضربون الاكفة حسرة وشفقة، وبعضهم يردد كلمة اخترقت مسامعه لتثير ريبته " الفزاعة " ما الذي يعنونه بتلك الكلمة.

أبصر أسامة بطرف عينيه ركض هند وعفاف صوب التجمع وهم يشاهدون ما يحدث وجلال يقف خلفه ينظر للسيدة بأعين متسعة فزعًا، والكل يراقب ما يحدث دون القدرة على المساعدة أو قول كلمة.

والسيدة لم تتوقف عن الولولة والصياح:

- أنا بس انشغلت عنه وهو خرج وفجأة اختفى، اخدوه زي ما اخدوا كل العيال اللي قبله، هيقتلوه زي ما قتلوا ابن أشرف.

كل ذلك يحدث أمام الأربعة الذين بدأوا يسجلون كل كلمة تنطق بها تلك المرأة وأشار لهم أسامة في إشارة متفق عليها سابقًا بضرورة الاجتماع بينهم.

وثواني فقط حتى تدخل جابر يفرغ ذلك الحشد وهو يشير للمرأة أن تنهض وهو سيخبر الشيخ ليساعدها، لكن سيدة أخرى تدخلت في الحوار تصرخ بقهر وغضب جحيمي وهي نفسها المرأة التي كانت ترثي طفلها منذ دقائق.

- يساعد مين؟؟ وهو الشيخ بتاعك ده بيساعد حد؟! ما أنا روحتله وقت ما مجدي ابني اتاخد ومعملش حاجة، كل اللي قاله أنى اروح وهو هيشوف الموضوع، ويا ترى شافه؟؟

نظر لها جابر بغضب شديد ولم يكد يجيبها حتى سمع صوت الشيخ يصدر بهدوء شديد:

- وأنا قولتلك يا أم محمد أنك تروحي بيتك وابنك هيرجعلك، وأنا شغال على كده ومش بخلف بوعدي، لكن أنتِ سارحة في القرية تنادي ابنك، ومعطلة الكل.

نظرت له والدة محمد بسخرية لاذعة، ثم هبت صارخة في وجهه:

- اروح؟! وأنت بقي هتجبلي ابني امتى يا شيخنا؟! لما الاقيه جثة زي ابن أشرف ومرمي على الترعة وهو متشوه؟؟ ولا استنى لما ابني التاني يتاخد من قدام عيني؟؟

أشار الشيخ لجابر أن يسحب السيدة من أمامه بنظرات غامضة وكذلك فعل جابر، حيث تدخل يجذب " أم محمد" من أمام الشيخ وهي استمرت في الصراخ بصوت مرتفع:

- خليكم كلكم ساكتين لغاية ما الفزاعة تيجي وتاخد عيالكم واحد واحد، هتفضلوا كده لغاية ما كل بيت ينقص عيل.

نظر الشيخ للجميع، ثم أمرهم بالعودة لأمورهم منبهًا عليهم بصرامة كبيرة:

- حافظوا على ولادكم وبلاش يخرجوا بليل وترجعوا تبكوا وتشتكوا أنهم اختفوا.

أنهى حديثه، ثم نظر للاربعة جواره وقال بهدوء:

- احنا إسفين على الازعاج يا دكاترة، دي أمور عادي بتحصل، والعيال في الآخر بنلاقيهم بيلعبوا في حتة بعيدة، اهلهم بس ناصحين يدوشونا.

هز أسامة رأسه بهدوء، ثم قال ببسمة صغيرة:

- ولا يهمك يا عمدة بتحصل فعلا كتير، استأذنك نرتاح عشان الطريق كان طويل.

ابتسم لهم، ثم تركهم متحركًا صوب منزله، بينما فاطمة والتي رافقت الفتيات اقتربت منهم تقول:

- يلا يا بنات عشان نرجع البيت.

نظرت لها عفاف بتردد وسارعت هند القول بتحجج:

- تمام يا مدام فاطمة احنا بس هنجهز الجرعات عشان بكرة نلحق نلف على شوية بيوت هنا، هنخلص ونرجع البيت لوحدنا متقلقيش عرفنا الطريق.

ابتسمت لهم فاطمة، ثم استأذنت لترحل تاركة الأربعة ينظرون لبعضهم البعض، أشار لهم أسامة ليلحقوا به صوب المنزل، وجلال كان الاخير بينهم، حيث خطى له بتردد شديد.

دخل أسامة وانتظر حتى لحق به الجميع، ثم اغلق الباب ولم يكد يستدير حتى سمع صوت جلال قد شرع يقص على الفتاتين ما حدث:

- البيت ده مسكون، جابر قالي إن فيه عيلة كاملة اتقتلت هنا، عيلة فاطمة كلها ماتت في البيت ده، والعفاريت هما اللي... امممم

وكانت باقي جملته عبارة عن همهمة بسب كف اسامة الذي أشار لها بحنق:

- أكتم شوية بدل والله اسيبك زي الكلب في البيت وأخلي العفاريت اللي حضرتك خايف منها دي تتصرف معاك.

صمت جلال لعلمه أسامة لا يمزح في تلك الأمور وانتبه بكُليته على حديث عفاف التي قالت بجدية غريبة:

- الست اللي اسمها أم محمد دي حاسة أنها عارفة حاجة وساكتة، طريقتها وهي بتكلم الشيخ بتاع القرية مش فيها خوف وملياانة ثقة.

نظر لها أسامة ثواني قبل أن يقول ما يفكر فيه:

- أو ببساطة مبقاش عندها حاجة تخاف منها فاتكلمت بثقة، لأن اللي زي ام محمد دي مجروحة واللي مجروح مش بيفكر في أي عواقب، يعني لو كان عندها كلام كانت قالته.

وافقته هند على حديثه وهي تضيف عليه:

- وكمان نظراتها للشيخ مش نظرات حد عارف حاجة وساكت، دي نظرات حد لو عرف حاجة محدش هيقدر يسكته.

أراد جلال المشاركة في الحديث وهو يقول بتفقه:

- طب هو ممكن يكون ايه اللي حصل؟! ومين ابن أشرف اللي كله بيتكلم عليه ده؟؟

قال أسامة يعض شفتيه شاردًا:

- ده بداية الخيط لينا، اشمعنا ده بذات اللي لقوا ليه جثة، لأن على حسب كلامهم وذكره كل شوية في الحديث أن محدش مات غيره، اشمعنا ده وليه حصل كده؟!

صمت الجميع يحاولون التفكير في الأمر قبل أن ينظر لهم أسامة يقول جديًا:

- تمام، احنا هنقسم الأدوار، بكرة هننقسم لجزئين، أنا وعفاف وهند وجلال، أنا وعفاف هنروح لبيت أم محمد دي بحجة تطعيم محمد، جلال وهند هيدوروا على بيت اللي اسمه أشرف ده بس بشكل مش محسوس وتحاولوا تعرفوا معلومات عن الطفل يمكن يوصلنا لمكان، وآخر اليوم نشوف وصلنا لايه..

فركت عفاف وجهها قليلًا:

- هو كلام تمام وزي الفل، بس أنت فاتك حاجة يا عو.

نظر لها أسامة منتظرًا لتقول ببسمة سخيفة:

- هنروح عند الناس دي نعمل ايه واحنا كلنا طينة محدش فينا بيعرف الحقنة بتتمسك ازاي اساسا؟؟

أضافت هند على حديث عفاف تساؤل آخر:

- وكمان حقن ايه اللي هنديها ليهم بالله؟! أصل انا شايفاك عمال تتكلم بثقة ولا كأنك قدام طقم تمريض.

ابتسم أسامة يضع يديه في جيب بنطاله وهز رأسه في حركة واثقة منه:

- وانا يعني عمري عملت حاجة مش مدروسة؟!

وجاءه الرد على هيئة جمل متداخلة من الثلاثة في اصوات ساخرة.

"ييييه كتير"

"متعدش"

"اه عملت قبل كده كتير يا عو"

كانت تلك الجمل المتراشقة بينهم هي مصدر انقباض ملامح أسامة الذي زفر بغيظ شديد وهو يلوح بيديه في الهواء:

- هما كانوا مرتين ولا تلاتة وخلاص، بس انا المرة دي دارس كل حاجة، روحت المستشفى واستعنت بصديق ليا وقالي إن الممرضين والدكاترة اللي بيعملوا حملات في

القرى وبيمروا على المنازل بيدوا التطعيمات في قطارة في الفم مش حقن، الحقن دي بتكون في المستشفيات نفسها، وبالنسبة بقي هنديهم ايه فاحنا هنديهم فيتامينات وخلاص، تمام كده؟!

هز الجميع رؤوسهم، ليبتسم هو براحة:

- أي اسئلة؟!

رفع الثلاثة أيديهم رغبة في الحديث، لكن أسامة تظاهر بأنه لم ير شيئًا وهو يتمطأ بتعب:

- تمام كده توكلنا على الله...

في الصباح التالي.

اتجه كل شخص لتنفيذ ما طلبه أسامة مساء الأمس، تحركت هند مع جلال صوب بعض المنازل العشوائية في القرية.

واصطحب أسامة عفاف صوب منزل محدد استفسر عنه في طريقهم وهو منزل أم محمد...

نظرت عفاف صوب أسامة تقول بتردد:

- بقولك يا عو؟!

نظر لها أسامة بترقب لتبتلع ريقها متسائلة:

- هو أنت يعني لسه مقموص من الحوار الاخير؟!

رفع أسامة حاجبه بتشنج من استخدامها لذلك اللفظ تحديدًا في وصف حالته، تصفه بـ "المقموص" فقط لأنه غضب من جلوسها مع رجلٍ آخرٍ، رجل يعلم تمام العلم أنه يحب تلك الحمقاء.

- لا يا عفاف واتقمص ليه يعني؟! خطيبتي اللي هتكون مراتي، قاعدة مع راجل تشرب عصير مانجة هزعل ليه؟؟

- على فكرة مكانتش صابحة.

استدار لها أسامة ينتظر منها تفسيرًا لتلك الكلمة التي لا يفهم لها معنى لتعطيه هي توضيحًا:

- المانجة مكانتش صابحة.

فورًا تنفس أسامة الصعداء واضعًا يده على صدره جهة قلبه مطمئنًا واخيرًا لتصريحها:

- الحمدلله يارب، أخيرًا هعرف انام الليل، تخيلي الايام اللي فاتت النوم كان طاير من عيني كل ما أفكر أنك شربتي عصير مانجة طازة مع واحد تاني؟؟ قدر ولطف الحمدلله.

ورغم معرفتها أنه يسخر منها وبشدة إلا أنها منحته إحدى بسماتها الغبية فقط لتمرر الأمر:

- خلاص بقي صافي يا لبن؟؟

رمقها أسامة ببسمة ساخرة جانبية قبل أن يهرول بعيدًا عنها:

- صابحة يا مانجة.

نظرت له عفاف ولظهره الذي يحمل أعلاه حقيبة، وفي يده مبرد خاص لحمل الفيتامينات وركضت هي خلفه تناديه، قبل أن تتوقف معه أمام أحد المنازل التي وصفها لهم اهل البلد.

طرق أسامة الباب بخفة وعفاف تقف جواره مبتسمة بسمة صغيرة لتقابلهم والدة محمد التي فتحت الباب بغضب ظنًا أنه أحد المتطفلين، لكن فجأة تلاشى غضبها وحل محله الدهشة:

- أنتم مين؟؟

نظر أسامة ببسمة لها وهو يقول بهدوء:

- اهلًا يا مدام، احنا حملة تطعيمات نازلة البلد عشان تطعيم الاولاد، فيه اطفال هنا في البيت؟؟

امتلئ وجه أم محمد نظرات سوداء أثارت في قلوبهم الحيرة وهي تقول بحنق شديد:

- لا مفيش هنا اطفال.

وقبل أن تغلق الباب وضع أسامة يده مانعًا إياها بلطف ومراعاة لحالتها، يدفع الباب ومن ثم قال بصوت واثق:

- ازاي، الجيران قالوا إن عندك طفل اسمه محمد.

نظرت لهم بشك وهي تحاول التخلص من ذلك الأمر، لم تعد تهتم أو تثق بأحد يحاول

الاقتراب من طفلها الوحيد:

- وانا مش عايزة أطعم ابني، أنا ايه يضمنلي أن التطعيمات دي كويسة اساسا، مش يمكن دي طريقة تانية عشان يخلصوا من عيالنا غير الخطف؟!

نظر أسامة لعفاف التي كانت تلتزم الصمت قبل أن تقرر التدخل متسائلة ببسمة مترددة بعض الشيء:

- معلش ممكن ندخل؟؟

نظرت لهما بشك كبير، لكن أسامة لم يسمح لها بالتفكير والرفض:

- صدقيني التطعيم مهم عشان ابنك.

وها هو يستغل نقطة ضعفها التي قدمتها هي منذ ثواني لهم على طبق من ذهب، لذلك انزاحت قليلًا عن المدخل سامحة لهم بالدخول وهي تنادي بصوت حاد على محمد.

دقيقة واحدة وظهر أمامهم طفل على مشارف المراهقة، توقف محمد أمامهم بريبة وهو ينظر لوالدته بعدم فهم:

- هما مين دول؟ دول اللي هيرجعوا مجدي من الفزاعة؟!

تعجب أسامة وكرر تلك الكلمة التي أثارت انتباهه مساء الأمس:

- الفزاعة؟؟ فزاعة ايه دي؟! دي اللي بتكون في الأرض عشان تخوف الطيور؟!

رفض محمد سريعًا وهو يصف له بلهفة ما علمه عن ذلك الكائن الذي لا يعلم له أحدًا تصنيفًا:

- لا ده اللي بيخطف العيال، صاحبي كريم شافه بيقول كان لابس اسود في اسود وبيظهر كل يوم بعد المغرب ويخطف عيل زي ما خطف مجدي أخويا.

تدخلت والدته فورًا تمنعه من إكمال ذلك الحديث الذي لا تقتنع بصحته أبدًا:

- بس كلام يا محمد وخد التطعيم وأنت ساكت.

نظر لها محمد بخوف قبل أن يهز رأسه ويقترب من اسامه الذي منحه بسمة حنونة يربت أعلى كتفه:

- أنت قوي يا محمد عشان مش خايف من كل ده.

ابتسم له محمد بسعادة كبيرة لتلك الكلمات:

- لا أنا مش خايف خالص.

أخرج أسامة إحدى زجاجات الفيتامين وقام بسحب البعض منها باستخدام القطارة، ومن ثم أمسك بذقن محمد يجذبه لأسفل، يقطر قطرتين فقط في فمه، ثم ابتسم له:

- عاش يا بطل، يلا روح شوف مذاكرتك.

هز محمد رأسه يتحرك بسرعة كبيرة صوب الداخل ووالدته تحدق فيه بأعين ضبابية، ولم تستمع لشيء ولا حتى لكلمات أسامة وعفاف المستأذنة.

وبمجرد خروج الاثنان من منزل والدة محمد شعرا بزيادة الحيرة، من تلك أو ذلك الفزاعة، رجل ام امرأة؟! وما السبب الذي يجعلها

لا تظهر سوى في المساء فقط؟!

- هنعمل ايه يا عو؟!

نظر لها أسامة قبل أن يقول بهدوء مفكرًا:

- هندور على بيت كريم ده اللي قال محمد أنه شاف الفزاعة.

***

كان جلال يتحرك مع هند وهو يصفر باستمتاع شديد يراقب الحقول الخضراء التي عكست جمال الطبيعة في ذلك الجزء من القرية، الأمر في الصباح يختلف تمامًا عن المساء.

تحدثت هند حينما خرجوا من المنزل الثالث:

- هنلاقي بيت أشرف ازاي من غير ما حد ياخد باله أو يشك فينا؟!

فكر معها جلال ثواني قبل أن يوقف أحد المارة ويسأله بشكل مباشر دون تفكير أو تعقيد للأمور:

- ألا قولي يا باشا فين بيت الراجل اللي اسمه أشرف ده؟!

اتسعت عين هند بقوة شديد وهي تستدير له ببطء تراه يتحدث

للرجل بكل أريحية وهو يصف له من يبحث عنه:

- أيوة أيوة الراجل اللي لقوا ابنه ميت على الترعة.

تدخلت هند بسرعة كبيرة وهي تجذب جلال لها تضحك بصوت منخفض وكأنه قال مزحة لها:

- معلش يا حضرت أصله يا عيني عقله على قده، اعذرنا.

نظر لها جلال باستنكار شديد وهي تعتذر من الرجل وتقول له كلمات حاولت بها شغله عن سؤال جلال له، ومن ثم استدارت لجلال تصيح بصوت كتمت به غضبها قدر الإمكان كي لا تجذب انتباه المارة لهم:

- أنت ياض ايه تعريفك عن السرية؟؟ ده أنت لو قاصد تودينا في داهية مش هتبقى بالصراحة دي.

ختمت حديثها بضربة عنيفة على كتف جلال الذي تأوه بصوت مرتفع يعترض على معاملتها له وهي بمثل مكانته في ذلك الفريق:

- ايه بتضربي ليه أنتِ؟؟ الحق عليا بحاول اختصر الطريق.

- تختصر طريق؟؟ ده أنت لو أسامة عرف غبائك ده هيخليك تختصر الباقي من حياتك، امشي يا جلال امشي الله يكرمك، أنا مش فاهمة ليه كل مرة بلبس معاك أنت في التقسيمة، يعني فوق ما أنا مش طايقة الرجالة البس في راجل وكمان جلال.

كانت تتمتم بكلمات حانقة أثناء السير، ترى تجمهر العديد من الأطفال حولها، والعجيب في الأمر أن أكثرهم يبدون بعمر أكبر من العاشرة.

ساروا يبحثون في الطرقات عن سبيل للوصول إلى منزل أشرف ذاك، حتى ملّ جلال الأمر وقال بغيظ شديد:

- أنا تعبت خلاص، الشمس اكلت دماغي وده كله معملناش حاجة، بعدين أنا مش فاهم هو القرية كلها مفيهاش غير أشرف واحد؟؟ يعني لو قولنا فين بيت أشرف هيقولولنا هناك اهو؟!

وفجأة ظهر أمام الاثنين صبي يبدو في الخامسة عشر من عمره، حيث بدأ يخطو المراهقة وحصل على صوت خشن أشبه بأصوات الرجال:

- أنتم عايزين ابويا في ايه؟؟

أشار له جلال بتسائل محتار:

- هو أشرف يبقى ابوك؟؟ أنت أخو الولد اللي لقوه م ...

منعته هند من استكمال تلك الجملة الغبية التي يرددها على مسامع الجميع كما لو أنها عادية أو ما شابه، ذلك الشاب لا يدري شيئًا عن الخواطر.

انحنت هند قليلًا فقط تردد بجدية:

- احنا كنا جايين عشان نطعم الاطفال، هل يا ترى عندك اخوات اطفال عشر سنين أو اقل للتطعيم؟؟

هز الصبي رأسه بالإيجاب وهو يشير لهم أن يلحقوه بسعادة، يسير متباهيًا بين الجميع وهم خلفه، يتكبر ويفتخر بهم بين الجميع كما لو أنهم جاءوا لتكريمه:

- أيوة عندي ثلاثة اخواتي، صبحي وسميرة و.

صمت ثواني قبل أن تتغضن ملامحه بشكل مؤلم، وبدا كما لو أنه يبتلع غصة في حلقه قائلًا:

- وكمان جمال الله يرحمه.

هنا وعلمت هند أنها أصابت، وأنها في طريقها الصحيح صوب منزل ذلك الطفل الوحيد الذي قُتل من بين الذين خُطفوا.

وصلوا أمام منزل أشرف ليشير الصبي له قائلًا ببسمة:

- ده بيتنا، ادخل انادي امي؟؟

وافقت على حديثه هند لينطلق الصغير يصيح على والدته أن تأتي لرؤيتهم، وهي نظرت لجلال الذي قال ببسمة:

- بصي وصلنا بفضل ذكائي، لولا أن الولد سمعني مكانش وصلنا ولو بكرة.

خرجت سيدة من المنزل ترتدي خمارًا كبيرًا يداري تفاصيل جسدها، تحمل فوق ذراعيها طفل صغير ربما هو أحد الذين ذكرهم الصبي.

خرج خلفها الصبي يقول لامه:

- دول الناس اللي بيلفوا على البلد من الصبح، كانوا بيدوروا على البيت بتاعنا..

تنحنحت هند بسرعة تقاطع الصبي:

- قصده بندور على البيوت اللي فيها اطفال عشان التطعيمات.

صمتت ثم قالت بحرص وغموض ترجو أن تستدرج تلك السيدة للحديث معها حول طفلها:

- هو البيت ده فيه كام طفل؟!

سارع الصبي يجيب بحماس شديد:

- ما أنا قولتلك يا أبلة احنا تلاتة في البيت.

استاءت هند من ذلك الصغير الغبي الذي يصر على إفساد عملها وكشفها أمام والدته، ذلك الثرثار يبدو كما لو أن أحدهم ألقاه عليها عمدًا:

- ما تبس بقي يا حبيبي، مش أخلص من جلال تطلعلي أنت.

زفرت بحنق، ثم نظرت لوالدة الصبي التي كانت تحدق في الهواء شاردة بلا أي ردة فعل.

- حضرتك معايا؟؟

نظرت لها السيدة بانكسار، جذب لها تعاطف هند الكامل التي أمسكت يد المرأة بحنان:

- أنتِ كويسة؟!

وتلك المرارة التي علت وجه المرأة انبأت هند بسخافة ذلك السؤال، وهي وكأنها لم تصدق أن أحدهم واخيرًا تساءل عن حالتها:

- كويسة؟؟ شوفت ابني جثة مرمية على الترعة بين الزبالة وجسمه كله خطوط كأن واحد كان بيلعب بالسكين فيه وتقولي كويسة؟؟!

وتلك الكلمات لم تكن عابرة أبدًا لا لهند ولا حتى لجلال الذي نظر لها بغموض يتساءل:

- خطوط؟؟

هزت المرأة رأسها وهي تضم طرف خمارها لفمها باكية:

- أيوة خطوط وك

وتوقفت المرأة عن الحديث فجأة حينما ارتفعت صرخة حادة قاسية ومرعبة تهتف باسمها:

- نجـــاة ...

***

الفصل الثالث

البعض وُلد ونضج وتشرب من الخوف كؤوسًا حتى ثمل، والبعض الآخر، لم ينتظر أن ينضج، بل رضع الخوف مع حليب أمه وتجرعه حتى شبع، فالخوف هو داء الفقراء، ومفتاح نجاة الأغنياء.

وهذا الرجل زوج نجاة كان من النوع الأول الذي مثّل له الخوف داء شنيع؛ داء تغذى عليه حتى تمكن منه، بل وتخطى الأمر ليتمكن من عائلته عن طريقه هو.

اقترب المدعو أشرف يحدج زوجته بنظرات متوعدة التقطتها هند بوضوح تام، ولولا خوفها من فشل المهمة، لكانت نهضت الأن ونشبت في وجهه بأظافرها.

امسك أشرف مرفق نجاة بقوة يضغط على يدها بتحذير شديد:

- مش قولنا نبطل التخاريف دي؟؟ مش كل ما تشوفي حد تقعدي تحكيله على اوهامك والكلام بتاعك ده.

أبعدت هند عيونها عن ذراعه، ومن ثم نظرت نظرة جانبية لجلال الذي تحدث بجدية متدخلًا بهدوء:

- أهدى يا أستاذ، المدام مقالتش حاجة يعني، بعدين هي غلطت في ايه؟ ام وزعلانة على ابنها.

استدار له أشرف يقول بسخرية لاذعة:

- وأنت مين إن شاء الله عشان تدخل بيني وبين مراتي؟؟

رفع جلال رأسه عاليًا يقول بجدية:

- أنا جلال يا استاذ، بشتغل ممرض في مستشفى في القاهرة وجاي بخصوص التطعيمات للأطفال، وكنت جاي عشان أطعم اولادك.

نظر لهم أشرف بشك قبل أن يشير لابنه أن يتحرك:

- غور روح نادي اختك خلينا نخلص من الحوار ده.

وبالفعل ركض الصبي بسرعة كبيرة تاركًا هند وجلال يفكران فيما سمعها منذ ثواني، ماذا تعني نجاة بأن جثة ابنها كانت مليئة بالرموز والكلمات غير المفهومة، لمع في رأسها أمر سريع ونظرت صوب جلال الذي كانت عيونه متسعة بشكل أخبرتها أنه ربما فكّر فيما

تفكر به، أو ربما لأنه رأي شيئًا احمقًا لا أكثر، لكن لا بأس في المساء عند اجتماعهم ستخبرهم بكل ما توصلوا له..

ثواني وعاد الطفل يجذب فتاة صغيرة لهم والتي كانت تحاول أن تتركه وتهرب بعيدًا، لا تدري أخوفًا منهم، أم من تلك التطعيمات مُرة الطعم؟!

لكن على أية حال انتهى الاثنان من الأمر وغادرا بهدوء شديد تحت أعين أشرف والذي بمجرد ابتعادهم خطوات معدودة جرّ زوجته صوب المنزل صارخًا:

- ادخلي، اتفضلي يا ست هانم أما نشوف اخرتها معاكِ ومع الكلام اللي ماشية تنطوريه في البلد كلها لما خلاص بقيت معروف أنى عايش مع مجنونة.

دفعته نجاة بقوة تتحرك صوب غرفتها، وضعت الصغير في فراشه بهدوء شديد وحنان، قبلته وخرجت بخطوات غير مسموعة، ومن ثم أغلقت الباب لتنفجر فجأة في زوجها عندما تأكدت من رحيل أطفالها للعب:

- أنا برضو اللي مجنونة ولا أنت اللي واحد جبان، خايف تتكلم عشان سيدك وولي نعمتك اللي سكتك بقرشين وقالك متفتحش بؤقك، نسيت ابنك يا أشرف عشان قرشين اخدتهم من شيخ البلد؟!

هبطت دموعها تصرخ في وجهه وقد فاضت حسرتها، وامتلئت قهرًا:

- يا اخي ده العمدة خايف على مكانته وبيدفع عشانها الغالي اكتر ما أنت خايف على عيالك.

وجاءها الرد قويًا من زوجها وهو يصيح مبررًا في وجهها بحجج واهية:

- أنتِ بتخرفي تقولي ايه؟؟ مفكراني مش زعلان على ابني؟؟ مين اللي كان بيدور عليه زي المجنون اول ما اتخطف، مين اللي مكانش بينام الليل أول ما اختفى؟؟

- ومين اللي سكت وعمل نفسه اعمى اول ما قبض؟؟

وبمجرد انتهاء جملتها نالت الرد على سؤالها على هيئة صفعة قوية أسقطت نجاة ارضًا، وصراخ حاد منه:

- انتِ غبية ومتخلفة ومصرة تودينا في داهية، فوقي وبطلي الجنان بتاعك، العمدة بس لو شم خبر أنك ناوية تتكلمي على اللي حصل مش بعيد يطين عيشتنا.

نظرت له زوجته بحسرة ولم تتحدث واكتفت بالبكاء لتعبر عما يتلجلج في صدرها من

مشاعر قهر وحزن، بينما هو نظر لها بشفقة قبل أن يتحرك للخارج بعيدًا عنها وهي تولول وترثي طفلها الفقيد لشيء هي لا تدرك هويته بسبب جهلها..

توقفت عفاف أسفل إحدى الأشجار التي تفرد ظلها في الساحة التي يلهو ويلعب بها الاطفال، تلتقط أنفاسها بتعب شديد، استدارت لأسامة الذي كان ينظر لها بهدوء ينتظر أن تنتهي من الاستراحة الثالثة لها خلال اليوم.

- احنا باقي لينا كتير عشان نخلص اليوم؟؟ ما كفاية كده يا عو ونكمل بكرة.

نظر لها أسامة بسأم:

- بطلي دلع يا عفاف وقومي يلا عشان نكمل.

- وليه نكمل ونتعب نفسنا؟! ما احنا نروح لأي عيل من اللي بيلعبوا دول ونسألهم على الأستاذ كريم اللي طلع عيننا من الصبح.

فكّر أسامة قبل أن يقول بنبرة هادئة تحمل بين طياتها غضبًا من ذلك العقل الذي يقبع داخل رأسها:

- وهو لما ننادي أي عيل من العيال دول مش هنثير الشك في قلوب الناس.

- يا عو كده كده الناس مش بتبطل شك على الفاضي والمليان فخليهم يشكوا براحتهم، بعدين بزمتك يا شيخ شكلك وانت شايل الكولدير زي بياعين العرق سوس في السيدة ده مش مثير للشك؟؟

ختمت جملتها وهي تطرق على الحقيبة التي يحفظ بها عينات الفيتامينات أعلى ظهره، ثم أضافت بجدية:

- بعدين يعني هيشكوا في ايه؟! أننا بنخطف العيال؟؟ كانوا اتنيلوا شكوا في أي حد بدل ما عيالهم عمالين يتخطفوا من بينهم.

نظر لها أسامة ثواني وتكبر عن الاعتراف بأنها محقة، لكن الأمر هو أن تجذب طفلاً نحوك في وضح النهار وعلى مرأى ومسمع من الجميع، لن يكون مثيرًا للشك بقدر ما هو مخيفًا، خاصة مع كل تلك الحالات من الاختفاء وهما غريبان عن القرية.

- ها انادي أي عيل ولا ايه؟؟

فتح فمه ولم يكد يُدلي بموافقته أو رفضه، حتى وضعت عفاف إصبعين في فمها وأطلقت صفير صغير، مشيرة لأحد الصبية:

- تعالى يا عسل عايزاك فـ

نظر لها أسامة بصدمة وهو ينقض عليها يكمم فمها بقوة، يشعر أنه على وشك الإصابة بسكتة قلبية:

- أنتِ يابت ايه مفيش عقل خالص؟؟ بقولك مش عايزين نثير الشك أو حد ياخد باله مننا، تقومي مخلية حتى اللي قاعدين في بيوتهم يخرخوا يشوفوا فيه ايه؟؟

نظرت له عفاف بعدم فهم:

- ايه انا بحاول اساعد.

- تساعدي ايه يا بلوة، ده أنتِ نيلتيها خالص، دي الناس بتبصلنا كأننا واكلين ورثهم، امشي قدامي خلينا نختفي من هنا.

وقبل أن يخطو أحدهما خطوة وجدا العديد من الأشخاص ينظرون لهما بريبة شديد، منحهم أسامة بسمة وهو يقول:

- احنا بس كنا عايزين نسألهم لو لسه فيه حد هنا متطعمش، شكله كده كله اتطعم.

وبتلك الكلمات أعلن أسامة نيته بالتحرك بعيدًا عن مرمى أعينهم وانصرف فورًا، لكن عفاف كانت ما تزال واقفة وهي تشير للصبي بإصرار مبتسمة له بغرض جذبه ناحيتها، ليعود لها أسامة بشر:

- هو البعيدة هبلة؟! ما تروحي تكممي بؤقه قدام الناس عشان تأكدي ليهم أنك خاطفة اطفال بجد.

ورغم حديثه ونبرته المنزعجة إلا أنها لم تتوقف عن الإشارة للصغير والابتسام له تلك البسمة المريبة والمرعبة بعض الشيء، ليضرب أسامة كفيها بغضب:

- أنتِ بتعملي ايه ده انا ذات نفسي خوفت؟! ايه البسمة المرعبة دي؟؟ هتوقفي قلب العيال.

نظرت له باعتراض ليصرخ في وجهها:

- امشي يا عفاف، امشي قدامي.

دفعها بقوة لتسير مجبرة رغم رغبتها في العودة ومعرفة ما تريده من ذلك الصبي، لكن وكأن أسامة قرأ نيتها الواضحة ليهتف من بين أسنانه:

- أنتِ لو ممشتيش وأنتِ ساكتة انا هنزل بالكولدير اللي على ضهري فوق دماغك يا عفاف.

- مش هتقدر، عشان لو حصلي حاجة هقول لهند.

اقترب منها أسامة هامسًا بشر:

- لو متحركتيش هقتلك أنتِ وهند وجلال فوق البيعة وأخلص منكم واعيش مرتاح الباقي من حياتي واتفرغ لبيع الحمص على كورنيش النيل.

وعندما أدركت جدية حديثه، هزت رأسها وتحركت بسرعة من أمامه وهو يزفر بقوة مكتفيًا بما توصل له لليوم، مقررًا البحث غدًا عن ذلك الطفل المسمى كريم، لا يعلم كيف، لكن ربما يستدرج أحد الأطفال دون علم أحد ويسأله..

- أنا مشيت وراهم زي ما بلغتني يا شيخنا ولقيت أنهم بدأوا يوزعوا تطعيمات بالفعل على البيوت هنا.

تمسك الشيخ برأس العصا الابنوسية بكلتا يديه، وهو يستند عليها بذقنه في شرود:

- مش عارف ليه يا جابر مش مطمن لوجودهم الوقت ده بذات قبل الانتخابات، خايف يكون حد زاققهم عليا من منافسين الدايرة لأجل ما يدمروني.

اقترب منه جابر يردد بطاعة عمياء لرب عمله وصاحب الفضل عليه في كل شيء منذ بدأ يستوعب الحياة حوله، فهو ما كان سوى صبي يتيم مشرد، قبل أن يلتقطه شيخ البلد ويتنبى تنشأته:

- اؤمرني يا شيخ وأنا أنفذ اللي تطلبه مني، حتى لو هكون زي ضلهم في كل مكان هعمل كده.

امتلئت عيون الشيخ بكلمات غير منطوقة أثارت حيرة جابر:

- لا يكفي أنك تتأكد أنهم مش بيعملوا مشاكل ولا ليهم علاقة بأهل القرية غير اللي جايين عشانه.

- أوامرك يا شيخنا، تؤمرني بحاجة تانية؟؟

أشار له الشيخ بالتحرك في الوقت ذاته الذي اقتربت إحدى النساء ذوات الأجساد الممثلة من باب الغرفة التي يجلس بها الشيخ تردد

في دلال واضح ونبرة خبيثة:

- صباح الخير يا شيخنا، ايه مسألتش عليا يعني، ولا البت اللي اتجوزتها على آخر العمر دي هتاخدك مني؟؟

رفع الشيخ نظره صوب تلك المرأة والتي كانت هي نفسها صفية زوجته الأولى والتي تزوجها منذ أعوام طويلة:

- ولا تاخدني ولا تسيبني، أنا مش فاضي للكلام بتاعكم أنتم الاتنين ده، أنا داخل على انتخابات وعايز ربنا يكرمني.

رفعت حاجبها ساخرة:

- وهو أنا اللي هعطلك يا رفعت؟؟

نهض رفعت عن مقعده يزفر بملل:

- ولا تعطليني ولا اعطلك، أنا همشي من هنا عشان مش طايق اتكلم مع حد الساعة دي.

راقبت صفية رحيله بأعين غاضبة معتادة وقد انتوت شرًا لضرتها التي تسكن أسفل سقف منزلها، لكن فجأة انتبهت لتحرك جسد فتاة شابة من أمام الغرفة صوب البهو:

- خير، هو هيعملها تالت ولا ايه؟؟

في ذلك الوقت كانت عفاف قد عادت وقررت أن تأخذ قسطًا من الراحة قبل العودة للاجتماع مع الجميع مساءً، لكن وأثناء دخولها المنزل سمعت صوتًا مرتفعًا يصدر من إحدى غرف المنزل.

ارتفع حاجبيها بتعجب ولم تكد تتحرك صوب تلك الغرفة حتى سمعت صوتًا يصدح في المكان:

- خير يا شابة، أنتِ مين وبتعملي ايه هنا في بيتي؟؟ هو ديك البرابر قرر يعملها تالت ولا ايه؟!

استدارت لها عفاف ببطء ولم تفقه لها هوية:

- نعم؟؟ حضرتك بتكلميني؟؟

ابتسمت صفية ساخرة من طريقة حديث عفاف معها:

- حضرتي؟؟ وكمان جايبها محترمة؟؟ وقعتي على رفعت فين يا ختي بس؟؟

- رفعت؟؟

اقتربت منها السيدة وتوقفت أمام عفاف تفحصها بشكل وقح:

- الحلوة منين بقي؟؟ وبتعملي ايه هنا؟؟

- أنا من القاهرة.

مال رأس صفية وهي تضيق عينيها متسائلة:

- رفعت اللي جابك؟!

- رفعت مين؟؟

- الشيخ يا ضنايا هو اللي جابك البلد الفقر دي؟؟

نفت عفاف كل ما تحدثت به تلك المرأة:

- لا أنا مش جاية بأمر منه، أنا جاية مع صحاب ليا عشان ...

ولم تكمل جملتها إذ قاطعتها تلك المرأة بتسرع وقد افلتت لسانها من سيطرة عقلها، ومارست هوايتها المفضلة في الفضول والتدخل في كل شيء:

- أنتِ جاية عشان حوار الخطف اللي بيحصل؟!

اتسعت أعين عفاف بقوة لدرجة أن لو كان أحد يستطيع التفكير أمامها، لكانت أثارت رييته، ابتلعت ريقها ببطء تحاول التحكم في ردات فعلها الغبية:

- خطف ايه؟! لا أنا جاية عشان التطعيمات.

نظرت له السيدة بحاجب مرفوع:

- تطعيمات ايه دي يا حبيبتي؟؟ هو ده وقته تطعيمات؟؟

حسنًا يبدو أن السيدة ليست بذلك الغباء الذي ظنتها تمتلكه، لذلك حاولت التفكير في كل كلمة قبل أن تنطقها، لكن السيدة سارعت

وأضافت على جملتها الاولى:

- اقطع دراعي أما كنتِ أنتِ واللي بتقولي عليهم صحافة زيكم زي شوية العيال الهبل اللي جم من شهر وبعدين فص ملح ودابوا.

أثارت تلك الكلمات انتباه عفاف وبشدة:

- صحافة؟؟ جات من شهر؟؟ وهما فين دول؟؟؟ وازاي محدش سمع عنهم؟؟

***

توقف جلال أمام المنزل الذي يقطن به رفقة أسامة، بعد يوم طويل مرهق، قضاه رفقة هند في الدوران حول القرية مستجوبين العديد من الأهالي، والنتيجة ...لا شيء، لم يتحدث أحدهم بكلمة واحدة وكأنهم يخشون على المجرمين، أشار جلال لهند أن تدخل معه:

- اتفضلي يا استاذة هند معايا.

رمقته هند مستنكرة حديثه لها:

- ليه يا جلال شايفني ناقصة وجع دماغ عشان أدخل معاك؟؟

وتلك الجملة ورغم أنها لم تكن تحمل أي كلمات قد تغذي غرور ذلك الأبله، إلا انها فعلت وببساطة، إذ همس له شيطانه بخبث أن هند لم ترفض الدخول معه سوى لأنها لا تضمن نفسها جوار شابٍ وسيم مثله، وكأنه ينتظر شيطانًا ليوسوس له، في الأساس غروره لا يحتاج أسمدة لينمو، فهو والنباتات الطبيعية تنمو دون الحاجة لمحفزات:

- أيوة فاهم طبعًا أنك خايفة على نفسك، بس يا هند أنا مستحيل ابصلك بالشكل ده.

- أنت فعلا مستحيل تبصلي، عشان لو عملتها أنا هخزقلك عيونك يا جلال.

أنهت حديثها تتحرك من أمامه وهو ظل واقفًا أمام المنزل يراقبها ترحل بخطوات متأنية واثقة وهو فقط ابتسم يردد:

- اكيد خايفة الفتنة، معذورة.

تحرك صوب المنزل، يطلق صفيرًا عاليًا مستمتعًا، لكن وبمجرد أن وطأه انتبه لذلك الجسد الذي سلب دقاته لأول مرة البارحة وهو يخرج من احدى الغرف.

تحرك صوبها ببطء وخطوات رشيقة، وكم ود لو سار بطريقته المفضلة - الحركة البطيئة - لكن المكان غير مؤهل لذلك.

أعاد خصلاته للخلف، مقتربًا من الطاولة التي تلتصق بباب الغرفة:

- هاي يا قمر.

كان يلوح بكفه وهو يبتسم بسمة ناعسة جانبية، لكن فجأة انتفض جسده بقوة لدرجة أنه سقط بسبب صرخة الفتاة المرتعبة وكأنها رأت عفريتًا.

بينما جلال زحف للخلف بعدم فهم:

- ايه؟ ايه فيه عفريت ولا ايه؟؟ شوفتي ايه؟!

كان يتحدث بنبرة أوشكت على البكاء لتقول الفتاة وهي تحاول تهدئة ارتعاشة جسدها:

- لا أنا بس اتفزعت أما شوفتك.

ضربة قاتلة وجهتها لغرور وكبرياء جلال الذي تشنج وجهه ناهضًا:

- اتفزعتي لما شوفتيني؟! ليه ماشي بوش محروق ولا بتلات عيون؟؟

خجلت الفتاة منه وسارعت بتبرير جملتها:

- لا يا سي الدكتور، أنا مش قصدي، أنا بس.. يعني أول ما خرجت لقيتك في وشي ففكرتك يعني اللهم احفظنا شبح ولا عفريت.

- ده اسود، اللي قولتيه ده طين الدنيا اكتر.

صمتت الفتاة بخجل ليقترب هو منها متناسيًا كل ذلك، هامسًا:

- مقولتليش يعني المرة اللي فاتت اسمك ايه يا قمر انت؟!

ولأول مرة في حياته يرى جلال تأثيره واضحًا على إحدى الفتيات، ليس وكأنه لم يحطم بالفعل قلوب الكثيرات، لكن تلك الفتاة فاجئته أن خجلت بهذا الشكل وهي تهتف على مسامعه بنبرة خافتة:

- خدامتك تسنيم يا سي جلال.

ها هو غروره ينتعش مجددًا بعد ضربة هند التي كادت ترديه قتيلًا، ابتسم بسمة واسعة وقال:

- اسمك حلو يا تسنيم، ألا قوليلي أنتِ مرتبطة؟؟

شهقت تسنيم بصدمة من جرأته في الحديث معها، وهو تعجب الأمر ولم ينطق بكلمة، بل سمع صوت أسامة يقول بصرامة:

- شكرا يا آنسة تسنيم تقدري تروحي تعبتك معايا.

وكأنها كانت تنتظر كلمته لتركض خارج المنزل المخيف بأكمله وجلال يراقبها بأعين مهتمة، ومن ثم عاد ونظر لأسامة متفاخرًا:

- ايه يا اسامة ما كنت تستنى شوية؟! ولا أنت زعلان أن البنت حلقتلك وجاتلي.

- حلقت لمين يا معفن ما أنا متنيل معايا بلوة وخاطبها، بعدين احنا في ايه ولا في ايه، ما تركز شوية يا جلال.

هز جلال رأسه يردد بملل:

- ماشي هركز، أي أوامر تانية؟؟

- لا شكرا، بليل بس تكون في الصالون عشان الاجتماع بتاعنا.

اومأ له جلال وتحرك بعيدًا عنه تاركًا أسامة خلفه يستغفر ربه عن أي ذنب ارتكبه، لربما وجوده في هذا السرب من البط البلدي هو ذنب قديم يكفر عنه الآن.

وجلال سار مبتعدًا يتمتم بحنق وبأمل كبير:

- بكرة تتشال وتبقى شغال تحت ايدي ووقتها مش هرحمك.

أطلّ أسامة برأسه حانقًا ساخرًا:

- سمعتك على فكرة.

أشاح جلال بيده دون الاستدارة له مبديًا عدم اهتمام واضح، جعل أسامة يعض شفتيه بغضب شديد، ألا يوجد من يحترمه بالخطأ في هذا الفريق؟! كل ذلك وهم اغبياء، ماذا إن كانوا يفكرون قليلًا؟؟ أكانوا انقلبوا عليه؟؟

حلّ المساء واستطاعت هند أن تتحجج بحجج واهية للخروج مع عفاف من المنزل قائلة إنهما ذاهبتان لشراء بعض التسالي، وبالفعل خرجا وتحركا صوب منزل أسامة وقبل أن تتوقف هند أمام المنزل لطرقه، شعرت بعفاف تجذبها بقوة كبيرة بعيدًا عن الباب وهي تقول بصوت مرتفع مريب:

- ياستي قولتلك ملناش دعوة بيهم، احنا هنشتري لينا بس ولو هما عايزين يبقوا يجيبوا لنفسهم.

رمشت هند بعدم فهم وهي تشير للمنزل ولم تكد تتحدث، حتى جرتها عفاف بقوة كبيرة كادت تسقطها ارضًا تقول بصوت خرج من أسفل أسنانها:

- يعني لو دخلنا عليهم وهما اتنين عزاب دلوقتي الناس تقول علينا ايه؟؟ متربيناش؟؟

لاحظت هند عيون عفاف التي كانت تتحرك مشيرة للخلف، لتدرك في ثواني احتمالية مراقبتهم، لذلك سارت معها دون جدال:

- أيوة صح عندك حق، احنا نروح نشتري لينا احنا وبعدين نرجع نقعد مع فاطمة في البيت ونسهر طول الليل.

ابتسمت عفاف لها براحة أن فهمت ما تقصده، وتحركت الاثنتان لأحد محلات البقالة وكل ذلك وأعين جابر تلاحقهما.

بدأت عفاف تأخذ بعض الاشياء العشوائية وكذلك هند التي كانت تنظر بطرف عينيها لجابر الذي كان يقف أمام المحل بشكل ظنه مخفيًا.

قضت الفتاتان وقتًا طويلًا على أمل أن يمل منهم جابر ويرحل، لكن لم يحدث ذلك؛ لذا تحركا خارج المكان بأكمله عائدين للمنزل يحاولون ايجاد طريقة للخروج.

تركهم جابر على باب المنزل، بعدما اطمأن أن لا شيء مُقلق بهم، بينما عفاف وبمجرد أن خطت للمنزل أطلقت تأففًا حادًا وهي تسب وتلعن بجابر، وهند جوارها كانت ملامحها واجمة بشكل جعل عفاف تتساءل:

- يا هند مالك عاملة كده ليه كأنك عايزة تقتلي حد؟! أنا عارفة إن الموضوع رخم بس مش لدرجة الملامح دي.

نظرت لها هند بشر تهمس من أسفل أسنانها:

- يعني عاجبك اللي حصل؟! عاجبك أننا شبه نفذنا اللي هو عايزة وخوفنا منه، احنا كده مش بس أنعشنا غروره الذكوري العفن، احنا كمان نزلنا راسنا ليه وقولناله بشكل غير مباشر أننا تحت امره.

تبالغ؟؟ ربما، لكن عفاف لم تكن تستوعب من حديثها كلمة واحدة، لم تع خطورة الأمر بتاتًا إلا عندما تحدثت لها هند الآن، حسنًا هي لم تع شيئًا سوى أن الأمر في منتهى الخطورة، لكنها بالطبع لا يمكنها قول ذلك لهند؛ لذا أطلقت شهقة فزعة:

- طب ازاي يا هند منبهتيش عليا طيب؟؟

زفرت هند تعيد خصلاتها القصيرة للخلف، ومن ثم نطقت بحنق شديد:

- لا طبعًا مش عاجبني، كان لازم نرفع راسنا ونمشي للبيت بتاع الشباب من غير ما نهتم

بيه ويضرب هو دماغه في الحيط.

- طب والسرية؟!

- في ستين داهية، اهم حاجة ميحسش أنه انتصر علينا أو أننا خايفين منه.

الأمر تطور مع هند حتى أصبح خطرًا عليها هي نفسها، هزت رأسها، ثم سارت صوب البهو تتحدث بجدية:

- طب سيبك منه دلوقتي عايزين نخرج من البيت نعمل ايه؟؟

صدر صوتًا قريبًا منهما يتحدث ببساطة:

- اخرجوا من الباب.

استدارت كلتا الفتاتين صوب فاطمة التي نظرت لهما ببسمة شديدة وهي تحمل بين يديها طبق ملئ بالفاكهة وكانت في طريقها للغرفة:

- لو عايزين تخرجوا اخرجوا براحتكم، دي حتى البلد زي العسل وفيها اماكن حلوة اوي.

نظرت عفاف لهند وقالت بهدوء:

- أيوة احنا كنا فعلا هنخرج بس لقينا جابر واقف على الباب، وحسينا أنه مش صح نخرج في الوقت ده.

تناولت فاطمة حبة من العنب المتناثر أمامها في الطبق:

- طب ما تخرجوا من الباب الوراني..

ابتسمت هند بسمة واسعة:

- باب وراني؟؟

- أيوة هتلاقوا بيودي على شرق البلد كده، هو في آخر الممر بتاع المطبخ.

اتسعت بسمة عفاف وهي تشكر فاطمة التي قالت:

- تحبوا تأكلوا فاكهة؟؟ أبلة صفية جابت كتير وهي راجعة من عند اهلها.

انكمشت ملامح هند بتعجب:

- ابلة صفية؟؟

جذبتها عفاف بعيدًا عن فاطمة بعدما منحتها بسمة واستأذنت منها، ثم توجهتا للباب الخلفي وعفاف تقول بجدية:

- هقولك هي مين بس خلينا نروح لأسامة ونخلص من الاجتماع ده على خير.

***

- هما اتأخروا كده ليه؟!

كان أسامة يسير في بهو المنزل ذهابًا وايابًا وهو يضرب كفيه ببعضها البعض، وقد ملّ تأخير الفتاتين، بينما جلال يتسطح بملل على الأريكة في المحاولة المائة بعد المليون للاتصال بأي أحد في ذلك المكان الغير مأهول.

زفر بحنق:

- انا زهقت، احنا هنخلص امتى المهمة دي بقي؟؟

حدق فيه أسامة بسخرية لاذعة، ليس وكأنه هو من يهوى تأجيل انتهاء تلك المهمة، وكأن أمرها كله بيده.

- تعرف يا اسامة، أنا لما يكون عندي فريق تحقيق زيك، مش هخلي المهمة تاخد في أيدينا اكتر من خمس ساعات.

أطلق أسامة صوتًا ساخرًا من حنجرته تبعه ضحكة عالية رنّ صداها في المكان بأكمله، حتى أن جلال انتفض يراقب المكان حوله بخوف واسامة يقول هازئًا:

- طب يا حبيبي ما تحل المهمة في خمس ساعات، حد مانعك.

- لا ما أنا بوفر جهودي وخبراتي لبعدين عشان استخدمها مع فريقي.

التوى ثغر أسامة ساخرًا:

- يبقى هتوفره كتير اوي، ومش بعيد تموت بالمخزون بتاعك كله، أو يحمض.

في تلك اللحظة ارتفع صوت طرقات على باب المنزل ليندفع أسامة لفتحه بسرعة كبيرة، كي لا ينتبه أحد على وجودهم في المكان.

وبمجرد دخول الفتاتين سارع بالتساؤل:

- ايه اللي اخركم كده؟؟

تحركت هند صوب البهو وهي تقول بغضب لم ينضب بعد:

- اللي اسمه جابر كان بيراقبنا واضطرينا نرجع البيت تاني ونهرب من الباب الخلفي، شكله كده شاكك فينا.

رفع أسامة حاجبه وهو يراقبها، قبل أن ينتبه لعفاف التي كانت تقف جوار الباب وهي تقول:

- هي ايه الريحة اللي في البيت دي؟؟

نظر لها أسامة بعدم فهم، بينما هي تحركت في المكان تحاول معرفة مصدرة تلك الرائحة التي اخترقت أنفها وبقوة كبيرة.

واسامة لا يدرك حقًا ما تتحدث هي عنه، لكنها فجأة توقفت حينما خفتت تلك الرائحة بقوة وعادت لهم وعيونها تحمل عدة نظرات غامضة جعلت الجميع ينظر لها بفضول:

- هو محدش فيكم شم الريحة اللي كانت موجودة من شوية؟!

تساءل جلال وهو يعتدل في جلسته بريبة شديدة:

- ريحة ايه بالضبط؟؟ دم صح؟؟ أنا والله قولت البيت ده مش مظبوط اكيد فيه ...

قاطعه أسامة وهو يشير له بالتوقف عن الحديث ودقق النظر لعفاف بنظرة غامضة:

- فيه ايه يا فوفا؟؟ ريحة ايه اللي شمتيها؟؟

تخصرت عفاف بسخرية منه:

- دلوقتي فوفا؟؟ وقت المصلحة فوفا وباقي الوقت مدام عفاف، صحيح على رأي هند شوية ذكوريين عفنيين.

هزت هند رأسها موافقة حديث عفاف، بينما أسامة تجاهل كل تلك الشعارات التي يحفظها عن ظهر قلب:

- سيبك من هند دلوقتي هي مش بتبطل كلام، دلوقتي قوليلي شميتي ايه اول ما دخلتي؟؟

حدقت بهم عفاف باستنكار:

- هو محدش فيكم شامم ريحة غريبة غيري؟؟

نظر لها الجميع بجهل قبل أن يقول جلال رافعًا يده في الهواء:

- أيوة فيه ريحة معفنة كده منتشرة هنا، متعرفيش ريحة كمكمة ولا ايه بالضبط، بس من وقت ما جينا وهي كده وجابر قال عشان الدنيا مكتومة هنا من سنين طويلة.

صمتت عفاف قليلًا وهي تشرد في اللا شيء، ليقترب منها أسامة مبتسمًا بمكر:

- شكلي هضطر اثق فيكِ للمرة التانية يا فوفا ولا ايه؟!

ابتسمت له عفاف بخبث وقالت:

- شوف مهما تلف مش هتلاقي غيري تثق فيه يا عو.

أنهت جملتها ثم نظرت حولها تقول بجدية:

- لما ريحة العفانة اللي قال عليها جلال تظهر تاني، عايزاكم تمشوا وراها وتعرفوا مصدرها، ويا حبذا لو جبتوا عينه من الشيء اللي خارجة منه الريحة دي.

تنهد أسامة يراقبها بفخر:

- احيانا والله يا مدام عفاف بحسك حاجة مهمة كده وذكية.

ابتسمت عفاف بتكبر وهي ترفع رأسها وهند جوارها تراقبها بحنق:

- أنتِ رافعة راسك كده ليه؟؟ بيقولك احيانا، ده بيهينك يا متخلفة.

- أيوة بس قالي أنى حاجة مهمة وذكية.

بصقت هند الكلمات في وجهها بضيق:

- ده أنتِ حاجة تشل يا شيخة.

صفق أسامة بيديه في الهواء ليجذب انتباههم، ثم قال ببسمة واسعة وجدية كبيرة:

- ودلوقتي يا حبايبي وفخري وسبب استقالتي القريب، عايز اعرف كل حاجة شفتوها خلال اليوم سواء مهمة أو غير مهمة.

وهكذا بدأ كل فرد في الفريق يعرض ما رآه من وجهة نظره فبدأ الأمر مع هند التي أشارت لجلال بجدية:

- أنا وجلال روحنا بيت اللي اسمه أشرف واللي ابنه هو الوحيد اللي اتقتل، وقابلنا مرآته واللي شكلها كان مريب الحقيقة ونظراتها مش طبيعية، وعرفنا منها أن ابنها كالعادة أصغر من عشر سنين، لقوه مقتول على الترعة، والأهم من كل ده واللي لفت انتباهي هو أنها ذكرت حاجة عن كلمات ورموز غريبة.

ضيق أسامة حاجبيه بعدم فهم ليسارع جلال يكمل الحديث:

- أنا هكمل بقي، هي قالت لما لقوا جثة ابنها مقتول كان فيه كلمات ورموز غريبة مكتوبة على جسمه وقبل ما تكمل كلامها أتدخل جوزها وزعق وكان باين عليه مش حابيها تتكلم في الموضوع.

امسك أسامة ذقنه يحاول التفكير فيما يمكن أن تفيدهم به تلك المعلومات، لكن قاطع كل ذلك صوت عفاف المتسائل:

- والكلمات دي يعني ايه؟؟ ممكن تكون يعني الخاطف أو القاتل شخص مهووس فبيحب يسيب علامات على جثث الضحايا مثلًا زي ما بنسمع ولا ايه بالضبط؟؟

أشارت لها هند تبدي موافقتها على ذلك الرأي:

- ده اللي فكرت فيه فعلا، بس بعدين قولت لو هو الموضوع كده، ليه معملش في الباقيين نفس الموضوع؟! لأن حسب اللي نعرفه مفيش ولا واحد غير الطفل ده ظهر سواء حي او ميت.

قال جلال وهو يلقي بتخمينه في وجوههم:

- طب مش ممكن تكون دي منظمة زي عبدة الشيطان وبيضحوا بيهم مثلا وكده يعني؟؟ الموضوع مش مستبعد.

اتسعت أعين أسامة بقوة منبهرًا من عقل جلال، هل بدأ بالفعل يفكر في استقلاله عن الفريق وكانت خطوته الأولى هي استخدام عقله؟!

- ايه ده جلال بسم الله ما شاء الله انت بتتناقش معانا بكل جدية وبتقترح اقتراحات حلوة اهي.

ابتسم جلال بتكبر شديد:

- قولتلك أنى بوفر جهدي.

هز أسامة رأسه ثم نظر للجميع وقال:

- للاسف الشديد اقتراح جلال ممكن جدا وهو الأقرب للصح حسب اعتقادي، بس فيه جزء مش صح.

تمتم جلال متشنجًا:

- حقد بقي وغيرة.

نظر له أسامة بتحذير ليصمت، ومن ثم باشر هو بكشف ما فكر فيه:

- اللي بيعمل كده بالفعل منظمة مش شخص واحد زي ما عفاف بتقول، لأن لو كان شخص واحد ازاي ممكن يخطف اطفال بالعدد ده لوحده ويأمن عليهم عشان يخطف غيرهم بدون ما يكون فيه حد هناك يحرسهم، وكمان فكرة عبدة الشيطان دي مش منطقية، لأنهم ناس مش بيحبوا يعلنوا عن قذارتهم بالشكل ده، هما لو عايزين يضحوا فهيضحوا ومش هيهتموا يرموا جثة بالشكل ده عشان نعرف، واظن احنا شوفنا الموضوع ده قبل كده..

صمت وكذلك الجميع، لا أحد يستطيع أن يحدد ما يمكن الاستفادة به من تلك الكلمات، وما غرضهم من رمي جثة واحدة فقط والاحتفاظ بالباقي، فإن كانوا عصابة لخطف الاطفال فلا فائدة لهم من خطف طفل والعبث في جسده وتركه دون أخذ أي منفعة.

تحدث أسامة بعد صمت:

- محتاجين نقعد مع ام الطفل ده تاني عشان نفهم اكتر عن حالة الجثة، يعني هل كان ناقص أي عضو فيكون الموضوع أعضاء ولما لقوا شوشرة في البلد بقوا يتخلصوا من الجثث بشكل تاني، ولا الطفل كان سليم فالموضوع بقي مجرد هوس بالتعذيب واغراض تانية؟؟

أضاف بعد صمت قصير:

- نركن المعلومة دي على جنب ونشوف اللي وصلنا ليه أنا وفوفا..

ابتسمت عفاف لذلك اللقب الذي يطلقه عليها بشكل عفوي وقالت:

- روحنا بيت الست اللي كانت بتتخانق مع العمدة امبارح، وهي كانت عدوانية شوية ومعرفناش نخرج منها بأي حاجة، بس ابنها فادنا شوية ودلنا على شخص تاني بيقول أنه شاف الفزاعة.

كرر كلٌ من هند وجلال الكلمة بعدم فهم:

- فزاعة؟؟

هز أسامة رأسه يضم ذراعيه لصدره:

- حسب قوله فالفزاعة دي هي الشيء اللي بيخطف الاولاد، ولما يظهر لطفل يبقى خلاص، ومن كلامه ميعرفش هي ست ولا هو راجل، مرة يتكلم بصيغة الذكر ومرة الانثى، ومحدش عارف شكل محدد، غير أن كريم صاحبهم شاف حد لابس اسود في اسود وهو بياخد واحد تاني.

عضت هند شفاهها بتفكير وهي تقول:

- كده اعتقد أننا محتاجين برضو زيارة لكريم ده ومحاولة أننا نعرف ايه اللي شافه وفين بالضبط واتحرك ازاي.

هز أسامة رأسه موافقًا وقبل أن يضيف كلمة أو يتحدث أحدهم بشيء ارتفع صوت طرقات عالية ومرعبة على باب المنزل تبعها صيحة جابر وهو يقول بصوته الجهوري:

- افتحوا الباب ....

الفصل الرابع

عزيزي أنت لست في المدينة الفاضلة لتتعجب وتُصدم من تصرفات بعض البشر حولك، وتضرب الأكفة حسرة مع كل خبرٍ يصل لمسامعك مرددًا بدهشة (كيف وصل حال الناس لهذه المرحلة؟؟) حسنًا هم ولدوا في تلك المرحلة من الأساس، لكن ربما أنت من سقطت في نوم عميق واستيقظت في عالمنا الموحش فجأة...

كانت الغرفة مظلمة، رطبة ورائحة العفن تفوح في كل مكان، لكن تلك الأجساد المترامية في الغرفة لم تكن منزعجة البتة من الروائح، فعندما تعتاد انفك رائحة القذارة، ستتعجب جمال رائحة المسك.

كان أحد الأجساد يجلس في ركن الغرفة وهو يدفن رأسه بين ركبتيه يحاول أن يُهدأ ارتجاف جسده، لا يعي ما حدث، هو فقط ذهب ليسبق شقيقه إلى المنزل حينما شعر بالعطش والتعب من اللعب، لكن أثناء مروره بأحد الأراضي الزراعية سمع أصوات غريبة، ولعلمه بما يحدث في تلك القرية بعد المغيب، ارتعب مجدي وركض بسرعة أكبر إلى منزله، لكن قاطع طريقه فجأة جسد يتشح بالسواد، عاد للخلف مرتجفًا بخوف حتى أنه بلل سرواله وهو يحاول فتح فمه والصراخ.

فجأة انقض عليه أحدهم من الخلف بسرعة كبيرة يكمم فمه رافعًا إياه بين يديه، لتتسع أعين مجدي بقوة يحاول الافلات من بين يديه، لكن أبصر الجسد الاسود يقترب منه وهو يهمس بصوت مخيف:

- اششش لو اتكلمت بحرف واحد مش هتلحق تنطق التاني، سامع؟؟

هبطت دموع مجدي بقوة وهو يشعر بقرب توقف قلبه من الرعب، أحد الأشخاص يحمله مكممًا فمه، و"الفزاعة " أمامه تلقي على مسامعه تهديدات مرعبة، عند تلك النقطة أعطى عقله الإشارة لجسده بالراحة ليسقط في إغماء سريع.

أفاق مجدي على صوت بكاء أحد الأطفال الذين يماثلونه بالعمر، والذي جاء لتوه، كان الطفل لا يتوقف عن البكاء والنحيب مطالبًا بوالدته، وحوله باقي الاطفال يرمقونه بيأس وكأنهم يخبرونه أنهم جربوا الصراخ والبكاء لساعاتٍ، بل لأيام طوال، لكن هل تراهم عادوا لدفء منازلهم؟؟

في تلك اللحظة فُتح الباب الخاص بتلك الغرفة وخطى لهم رجل لا يظهر من وجهه سوى عينين ووضع لهم صحن كبير ملئ بالطعام آمرًا إياهم:

- كلوا عشان مفيش اكل غيره لبكرة..

وبمجرد خروجه هجم جميع الأطفال على الطعام، فهذا هو سبيلهم الوحيد للنجاة من الموت جوعًا، بينما مجدي لم يتحرك من مكانه وهو ما يزال يحدق في النافذة الصغيرة التي تعلو أحد الجدران، يرى بعقله الطفولي أنها سبيله الوحيد للحرية، لكن ما السبيل لذلك السبيل؟؟؟

***

انتفض الأربعة بقوة من ذلك الطرق العنيف، واتسعت الأعين خوفًا أن يتم اكتشافهم على يد جابر وهم حتى لم يكملوا يومًا في تلك المهمة.

نظر لهم أسامة بأعين محذرة أن يختفوا عن الأنظار، لتسارع هند بجذب يد عفاف صوب أول غرفة قابلتهم في الطابق الارض، وجلال لحق بهم بسرعة مرتعبًا، ليمسكه أسامة وهو يضربه بغيظ شديد هامسًا:

- أنت رايح فين يا بلوة أنت؟؟ طب هما مش عايشين هنا وبيستخبوا، ولا أنت أي نيلة رامي روحك فيها؟؟

أجابه جلال بسرعة وهو يحاول الافلات منه والركض خلف هند وعفاف:

- هروح عشان أأمنهم.

ضربه أسامة بغيظ شديد دافعًا إياه صوب الباب الخاص بالمنزل:

- روح افتح الباب بدل والله ما هتلاقي حد يأمنك مني.

- طب ما تفتح أنت، اشمعنا أنا؟؟

نظر له أسامة بشر، ليتحرك جلال دون كلمة صوب الباب، حسنًا هو كان يتمتم بالعديد من الكلمات الخانقة المعترضة وبعض الاماني التي يأمل أن تتحقق وقد شملت امانيه تلك أن يدهس أسامة أسفل أقدامه يومًا ما.

نظر أسامة للغرفة التي دخلت لها الفتاتان يتأكد أنها مُغلقة جيدًا، ثم نظر للباب حيث يقف جلال ومعه جابر الذي اقتحم المنزل يقول بجدية:

- مساء الخير يا دكاترة، لا مؤاخذة لو جيت في وقت مش مناسب.

اجابه أسامة بهدوء وبسمة صغيرة:

- لا أبدًا، براحتك ده البيت بيتكم واحنا ضيوف فيه، اتفضل يا جابر نقدر نساعدك

في حاجة؟!

هز جابر رأسه شاكرًا:

- الله يكرم اصلك يا دكتور، أنا بس الجماعة كلموني

أن الواد ابني تعبان والمستشفى العام بعيدة على ما اروح اجيب دكتور وارجع يكون الواد حالته بقت اسوء، فلو يعني هتعبك معايا تيجي تبص عليه ولو فيه حقنة ولا اي حاجه اجيبها من الصيدلية لغاية الصبح.

وجلال لم يع من تلك الكارثة التي وقعوا بها سوى كلمة " الجماعة " التي نطقها جابر بعفوية شديدة مشيرًا بها " لزوجته "، وجلال الذي لا يحب أن يفوته شيئًا استفسر عن الأمر سريعًا:

- ايه الجماعة دي معلش وايه علاقتهم بابنك يا جابر؟؟ أنت تبع تنظيم القاعدة ولا ايه؟؟

نظر له جابر بجهل لما يقول، بينما أسامة حدجه بشر وهو ينغز خصره وقد شعر في لحظة أنه سأم جلال، سأم كل ما يتعلق بذلك الغبي الذي لا يُحسّن من نفسه، بل ويحلم أن يترأسه يومًا.

ولم يكد يتحدث بكلمة حتى أضاف جلال بجدية:

- على العموم، استنى نجهز ونحصلك وانا بنفسي هكشف على ابنك متقلقش.

ابتسم له جابر يمطره بالعديد والعديد من الدعوات متحركًا خارج المنزل وأسامة يراقبه حتى استدار فجأة لجلال وهبط فوقه بالضربات والسبات:

- أنت مش هترحمني بقي لوجه الله، بعدين ايه انا بنفسي هكشف على ابنك دي؟؟ مفكر نفسك الدكتور مجدي يعقوب يا زبالة؟! يا جلال فوق أنت كنت ادبي ومتعرفش حاجة، هتروح تعمل ايه في الواد؟؟ بتورطنا في حاجة محدش فينا بيفهم فيها ليه؟؟

ابعد جلال يد أسامة عنه بغيظ شديد:

- ايه؟؟ يعني اعمل ايه؟؟ المفروض أننا دكاترة ونعرف كل ده، عايزني أقوله معلش أصل احنا مش دكاترة اساسا وأننا جايين نحقق في جرايم الخطف هنا يا قرية معفنة؟!

كمم أسامة فكه بقوة، ينظر صوب الباب بسرعة كبيرة وخوف من سماع جابر لهم، وقد اكتفى من كل ذلك، جر جلال صوب الغرفة التي دخلت لها الفتاتان وهو يصرخ:

- واد أنا جبت آخري منك، والله العظيم أولع فيك وفي نفسي وأخلص.

فتح الباب يلقيه بقوة للداخل محذرًا الجميع:

- متخرجوش الزفت ده لغاية ما امشي مع جابر، وبكرة نكمل كلامنا..

أنهى حديثه يتحرك خارج الغرفة مغلقًا إياها تاركًا هند وعفاف ترمقان جلال بغيظ وغضب مشتعل، لينهض الاخير ينفض ثيابه مبتسمًا بسمة جانبية:

- طبعًا خايف اسحب السجادة من تحته.

وفجأة توقف عن الحديث حين سحبته هند بقوة صارخة في وجهه:

- اقسم بالله يا جلال أما لميت لسانك اللي عايز قطعه ده لكون أنا اللي سحباه لبرة وقطعاه، رايح تتكلم وتقول إننا مش دكاترة يا غبي يا متخلف؟؟

- ايه ده؟؟ أنتم سمعتوا؟؟

ابتسمت عفاف ساخرة من ملامح الصدمة التي علت وجهه:

- ده الاموات سمعوا يا حبيبي، احنا بس ندعي إن سمع جابر يكون على قده وميكونش هو سمع.

فتح جلال فمه ليبرر ما قاله، هو فقط لا يقصد أن يوقعهم في ورطة أو ما شابه، هو تحدث كما يتحدث عادة بعفوية شديدة، لكن ماذا يفعل وهو من اعتاد على التحدث بصوت مرتفع؟!

تنهد بصوت مرتفع يجلس على أحد المقاعد في تلك الغرفة المليئة بالغبار والعديد من الملايات البيضاء التي تغطي اثاثها:

- والله أنا مش غبي زي ما كلكم واخدين عني فكرة غلط، أنا ذكي في حاجات كتير، بس أنتم اللي مش عارفين تستغلوا دماغي، ومش عارفين تحطوني في المكان اللي يناسبني.

وبينما هو جالس على يد الأريكة مال بظهره متناسيًا أن لا شيء خلفه، ليسقط على المفرش الذي يغطي الاريكة ويسحبه كله أسفله.

في اللحظة التي سقط بها جلال وبدلًا أن تستقبله الأريكة، استقبلته أرضية صلبة جعلت صرخاته تصدح في المكان بأكمله.

في الخارج وحينما كان أسامة على وشك المغادرة مع جابر أوقفته صرخات جلال

القوية، ليشعر بالريبة وهو ينظر لجابر الذي أشار للمنزل متحدثًا بجهل:

- مش حضرتك قولت إن الدكتور جلال هينام؟؟

هز أسامة رأسه بقوة ينظر للمنزل وهناك رغبة منه بالعودة للداخل، لكنه فقط ابتسم بسمة صغيرة بسيطة:

- تلاقيه وقع من على السرير ولا حاجة، أصل نومة جلال وحشة اوي اسألني أنا.

ضحك عليه جابر وهو يتحرك معه خارج جدران المنزل يتحدث معه بحرية شديدة:

- أيوة أنت هتقولي، عندي الواد عبد الرحيم الكبير زيه كده، طب ده انا في مرة جبته من ....

كان يتحدث ويتحدث وأسامة يدعي الانتباه مبتسمًا بسمة صغيرة، وكل فكره يدور حول سبب صرخات جلال، فهو يعلم جيدًا أن جلال من النوع الخائف، لكنه فقط يخشى أن يكون قد تأذى أو ما شابه.

انحرف أسامة شرق منزل العمدة يسير خلف جابر الذي دخل به لمنزل حالته كانت أفضل بكثير من حالة جميع منازل القرية، لكنه لا يُقارن بمنزل الشيخ أو حتى منزل عائلة فاطمة..

دخل المنزل بعدما أشار له جابر بذلك والذي ضرب كفيه ببعضهما يقول بصوت مرتفع:

- معايا ضيوف..

وفورًا أشار لأسامة أن يقترب معه صوب إحدى الغرف التي كان يستقر بها خمس صبيان وفتاة صغيرة، عرّفه عليهم جابر بأنهم ابناؤه من زوجاته الثلاثة.

اقترب أسامة من أحد الأسرة ليرى طفل يرتجف ويهمس بكلمات عديدة غير مفهومة، ليشعر بأن الأمر جاد ليس مجرد مرض خفيف قد يصف له أي مسكن، الطفل يرتجف حتى كاد الفراش يتحرك من قوة ارتجافاته، ولأول مرة يشعر أسامة بالخوف من شيء، لا يملك مساعدة لذلك الطفل ولا يستطيع النطق بذلك.

تظاهر لدقائق أنه يفحصه، يمسك معصمه ويحدق في ساعته، ويطالبه أن يفتح فمه احيانًا، ثم نظر لجابر الذي كان ينتظر منه كلمة تطمئنه:

- الولد مريض زيادة و. ومحتاج يروح مستشفى ضروري الأدوية مش هتساعد، هو محتاج محاليل وحاجات كتير ودي مش هتلاقيها غير في المستشفى.

حسنًا جيد أسامة ها أنت ذا تنجح في الأمر دون كشف جهلك بما تفعل.

نظر له جابر في استنكار تام، ثم جلس على فراش طفله يتحسس حرارته ليقول في رفض تام لاقتراح أسامة:

- مستشفى ايه يا دكتور، هو اكتبله الحقنة بتاعة السخنية دي بياخدها ويقوم زي الفل.

على الاستهجان ملامح أسامة، يجمع أدواته التي لم يستخدم منها سوى عصا لفتح فم الصغير فقط:

- أنت بتعمل ايه يا جابر؟! الولد عنده حمى شديدة، دي شكلها نزلة شعبية حادة.

بالطبع هو لا يدري كيف يتم تشخيص تلك النزلة، لكنه سابقًا أُصيب بحالة أشبه بتلك الحالة الخاصة بالطفل وشخصه الطبيب

بنفس الكلمات التي رددها منذ ثواني.

ويبدو من ملامح جابر أنه بدأ يهلع وهو يميل حاملًا طفله يردد برعب شديد:

- ودي حاجة خطيرة يا دكتور، يعني الواد هيكون كويس؟؟

هو حقًا لا يعلم، لكنه رغم ذلك هز رأسه يقول بجدية شديد:

- لو متعالجش بسرعة ممكن لا قدر الله المرض يزيد عليه ووقتها هيكون علاجه صعب.

تحرك به جابر والخوف قد بلغ منه مبلغه:

- لا وعلى ايه، أنا هاخده دلوقتي للمستشفى على طول.

ابتسم له أسامة، ثم تبعه نحو باب المنزل وعينه تتحرك على منزل جابر لعله يجد أي شيء قد يساعده صدفة، يراقب الجدران وتلك اللوحات التقليدية لبعض آيات القرآن وايضًا لوحة خضراء لا معنى لها، لا شيء منزل طبيعي كأي منزل.

خرج خلف جابر ليراقبه يصعد للسيارة وهو يقول:

- هتيجي معايا يا دكتور؟!

تنحنح أسامة بهدوء:

- لا يا جابر روح أنت، أنا عندي جرعات أحضرها عشان تطعيمات بكرة.

- تمام يا دكتور.

وبسرعة كبيرة تحركت سيارة جابر حاملًا معه طفله الذي يصارع مرضًا هو لا يعلم بشأنه شيئًا.

تنهد أسامة بصوت مرتفع يتحرك صوب المنزل ليرى ما حدث لذلك الاحمق، يقسم إن خرّب جلال شيئًا أو أثار أية متاعب لـ

توقف عقل أسامة فجأة عن التفكير وهو يبصر في نهاية الطريق الذي يؤدي لمنزل العمدة جسدًا يتشح بالسواد، أسرع المشي بخطى شبه مهرولة يلتزم السرية حتى لا يتسبب في إخافة ذلك الجسد والتسبب في هروبه، لربما يكون هو نفسه تلك الفزاعة التي تحدث عنها شقيق مجدي.

اقترب بأقدام بطيئة حتى رأى الجسد يدخل لمنزل العمدة، كانت حركات ذلك الجسد واثقة لا يظهر عليها أي شيء مثير للريبة، لربما كان أحد الأشخاص يلتحف بذلك الشال الصوفي الاسود بسبب برودة الطقس، أو ربما هو الفزاعة؟؟

***

في المنزل ساعدت عفاف جلال لينهض والأخير يتأوه بقوة يحاول أن يتمسك بظهره وهو يصرخ:

- براحة ضهري براحة.

جذبته عفاف بقوة كبيرة لتعلو صرخات جلال أكثر وأكثر ويرن صداها في المكان بشكل جعل هند تضم حاجبيها بانزعاج شديد:

- اششش صوتك يا اخي، بطل ازعاج على المسا.

اعتدل جلال بصعوبة بسبب الآلام ظهره، يحاول الجلوس على الأرض مستندًا على تلك الأريكة التي سقط منها:

- ابقي جربي الوقعة دي وبعدين اتكلمي كده.

ختم جملته وهو يبحث عن هاتفه الذي كان في جيب بنطاله ليسجل تلك اللحظة التي يمر فيها بالعديد من المصاعب خلال عمله:

- فين تليفوني، حد يجيبه عايز اعمل فيديو عشان بعد ما أخلص المهمة اجمعهم سوا.

نفخت هند باستهزاء شديد لترى الهاتف مستقر ارضًا في نفس المكان الذي سقط فيه جلال، أي في الأريكة التي لا تحتوي على مقاعد، بل كانت مُفرّغة من الداخل، مالت

لتحضره متهكمة:

- ومالو يا حبيبي، بس الله يكرمك متنساش وانت بتجمع الفيديوهات تقول إن المهمة كانت هتخرب بسببك كام مرة، ده إذا مخربتش على ما توصل لـ

توقفت عن الحديث فجأة حينما التقطت الهاتف، اعتدلت في وقفتها ببطء وهي تحدق بشكل مطول على الأرضية التي تقع أسفل الأريكة، ثم نظرت في أرضية الغرفة بكاملها، وكررت تلك الحركة أكثر من مرة لتثير ريبة الاثنان، حيث انتفض جلال متغلبًا على وجعه:

- ايه التليفون انكسر؟!

نفت هند برأسها وهي تشير للأرضية:

- فيه حاجة غريبة هنا.

حدق الاثنان حيث تشير واطالوا النظر ثواني قبل أن تقول عفاف بتخمين:

- الأرض نضيفة ومش عليها عفارة؟؟

رمقتها هند بسخرية لاذعة وهي تشير للأرضية خلفهم، ومن ثم أشارت للأرضية أسفل الأريكة توضح ما تقصده دون ألغاز قد تصعب على هذين الاثنين:

- البلاط مختلف.

أعاد جلال عيونه صوب الأرضية مجددًا، ثم مال يجلس القرفصاء يتحسسها، ثم تحسس الخط الفاصل بين كل جزئية من السيراميك والآخر، ليرفع رأسه ويقول بجدية:

- السيراميك ده جديد، معداش عليه اسبوع، لسه الوش الخشن بتاعه زي ما هو والدهان اللي بين الفوارق لسه جديد.

نظر الثلاثة لبعضهم البعض بجدية قبل أن يبادر جلال ويقول باهتمام شديد:

- معقولة يكون فيه مخبأ سري تحت الأرض؟!

فكرت هند قليلًا قبل أن تقول بجدية:

- لو زي ما أنت بتقول كده، ليه هيحطوا سيراميك ويبلطوه، ما كانوا حطوا باب خشب وريحوا دماغهم أو غطوا المدخل بالكنبة وخلاص، أصل اكيد مش كل مرة هينزلوا المدخل هيكسروا السيراميك ويركبوه تاني..

مالت بجسدها لتجلس نفس جلسة جلال وتضغط على الأرضية، ثم طرقت عليها

مضيفة على حديثها السابق:

- ولو زي ما قولت فيه فعلا مدخل في البيت ده، ليه خلوكم تناموا فيه؟؟ اكيد يعني مكانوش هيغامروا بالشكل ده، كان ممكن ببساطة يشوفوا ليكم أي اوضة وخلاص.

انضمت لهم عفاف في نفس الجلسة ليتجمع الثلاثة حول بقعة الأرضية المختلفة، وعفاف تعطي تخمينها:

- أو يمكن اللي جابهم هنا واللي هو نفسه شيخ القرية ميعرفش أي حاجة بخصوص البيت ده، عشان كده مفكرش يداري شيء أو غيره.

صمت الثلاثة وبدأت الأفكار تدور في رؤوسهم بشكل جدي وعلى باب الغرفة كان أسامة مستندًا على الجدار يراقبهم بفخر وقد كادت أعينه تسيل بالدموع، لا يصدق أن سرب البط خاصته يفكر في أمر بشكل جدي، يشعر أن قلبه سينفجر من السعادة.

- يا حبايبي بابا أسامة فخور بيكم والله، أنا دمعتي هتفر من عيوني.

وبسبب حديث أسامة المفاجئ في لحظات تفكير الثلاثة وشرودهم سببت فزع لهم جعلهم ينتفضون بهلع صارخين صرخات هزت جدران المنزل بأكمله.

اقترب منهم أسامة يهز رأسه بيأس، لا فائدة منهم حقًا.

وضعت عفاف يدها على صدرها تحاول تنظيم ضربات قلبها:

- ايه يا عو مش تقول احم ولا دستور يا خويا؟؟ كده كنت هتوقف قلبنا.

جلس أسامة نفس الجلسة جوارها يهمس لها بلطف وحنان:

- سلامة قلبك يا فوفا.

ابتسمت عفاف بسمة واسعة لتلك الكلمات التي أطرب سمعها بها، وهو منحها غمزة صغيرة، ثم نظر للجميع يقول بجدية:

- كل اقتراحاتكم مقنعة، وكلها ممكن تكون صحيحة، وبما أن البيت ده مريب ومليان حاجات كل شوية تتكشف لينا، فاحنا من بكرة هنحطه في خطتنا وندور فيه على أي شيء ممكن يفيدنا.

نظر لجلال يقول بجدية:

- جلال أنت معاك عدتك صح؟؟

اومأ له جلال بإيجاب ليبتسم له أسامة ويردد بغموض:

- تمام من بكرة تبدأ تشيل السيراميك ده وتعرفلنا ايه اللي تحته، وتمر في البيت ده بلاطة بلاطة وتعرف إذا كان فيه فعلا مخبأ تحت أو لا.

ابتسم جلال باتساع، واخيرًا سيفعل شيئًا يتقنه ويحبه ويتميز به عن الباقيين.

أكمل أسامة:

- هند هتروحي بكرة لبيت أشرف وتحاولي تتكلمي مع مرآته بأي حجة، مثلا تعتذري منها عن آخر مرة وإنك حسيتي أنكم عملتم ليها مشاكل، وأنك حاسة بالذنب عشان هي ست فيه واحد ذكوري متعفن جاي عليها، مش انا اللي هقولك برضو إن المرأة للمرأة يا هند.

ابتسمت هند باتساع وقد على ثغرها بسمة ماكرة:

- ولو يا عو، اعتبره حصل.

نظر أسامة واخيرًا لعفاف يقول بجدية:

- فوفا هتيجي معايا نكمل تطعيمات وندور على اللي اسمه كريم ده، لازم نعرف منه الفزاعة دي راجل ولا ست عشان أنا من شوية شوفت حاجة وحابب أتأكد منها.

نظر له الجميع بفضول، وأسامة شرد في ذلك الجسد المتشح بالسواد والذي كان في تكوينه يعطيه مظهر رجل لا امرأة، فإن كانت تلك " الفزاعة " امرأة فهذا يلغي احتمالية ما يشك به.

أخرجته عفاف من شروده:

- تتأكد من ايه يا عو؟؟ هو حصل حاجة وأنت مع جابر؟؟

فرك أسامة ذقنه قليلًا يحاول ترتيب كلماته:

- وانا جاي شوفت في اخر الشارع اللي بيودي على بيت شيخ القرية شخص لابس اسود في اسود وماشي ناحية البيت بتاع الشيخ، بس شكل تكوين الجسم بتاعه أنه راجل مش ست.

أفضت هند بأفكارها كالعادة وهي تعطي حلول جديدة:

- ما يمكن يكون شخص عادي لابس اسود، ليه تفترض أنه المجرم؟؟ خاصة أننا انهاردة

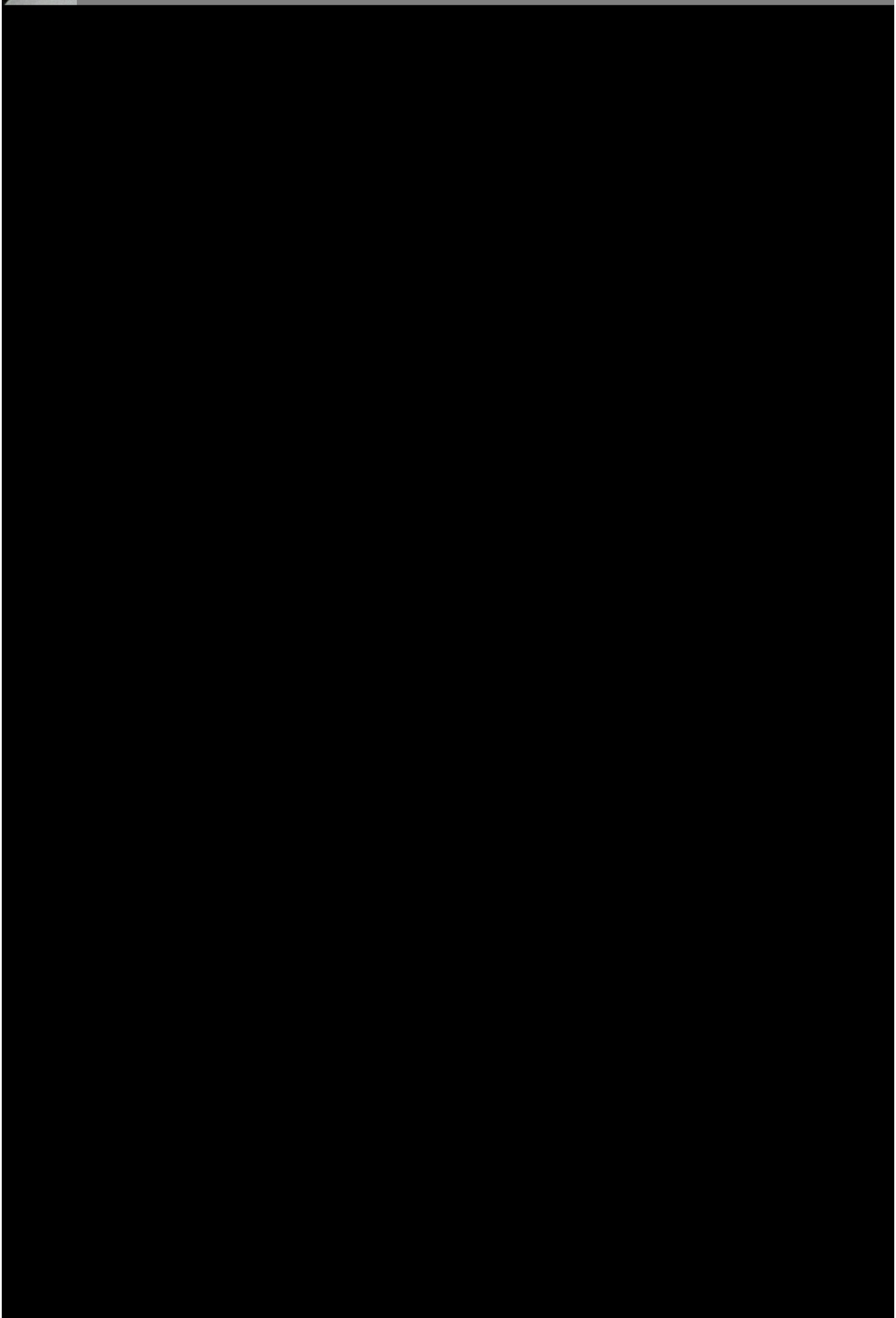

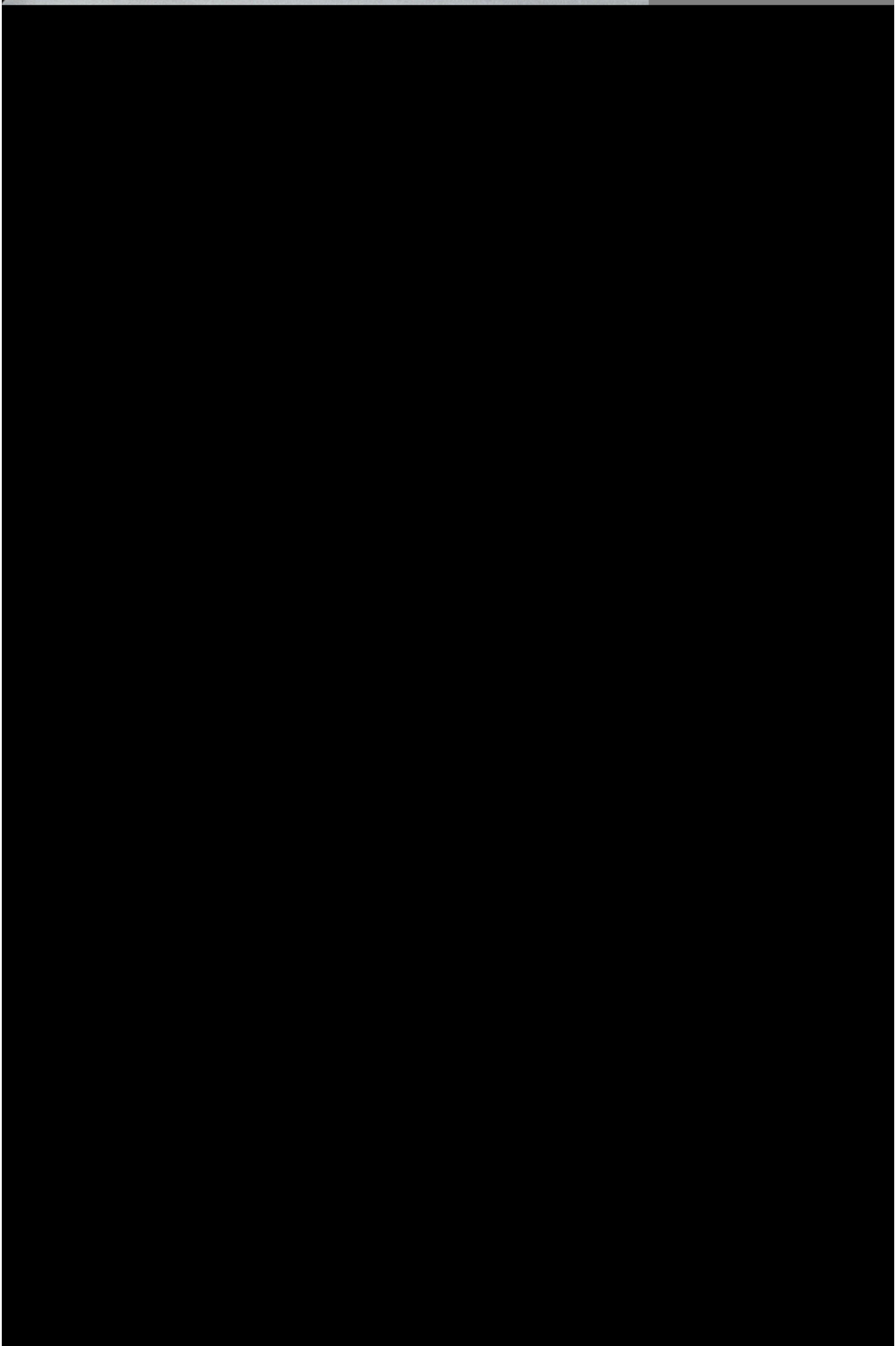

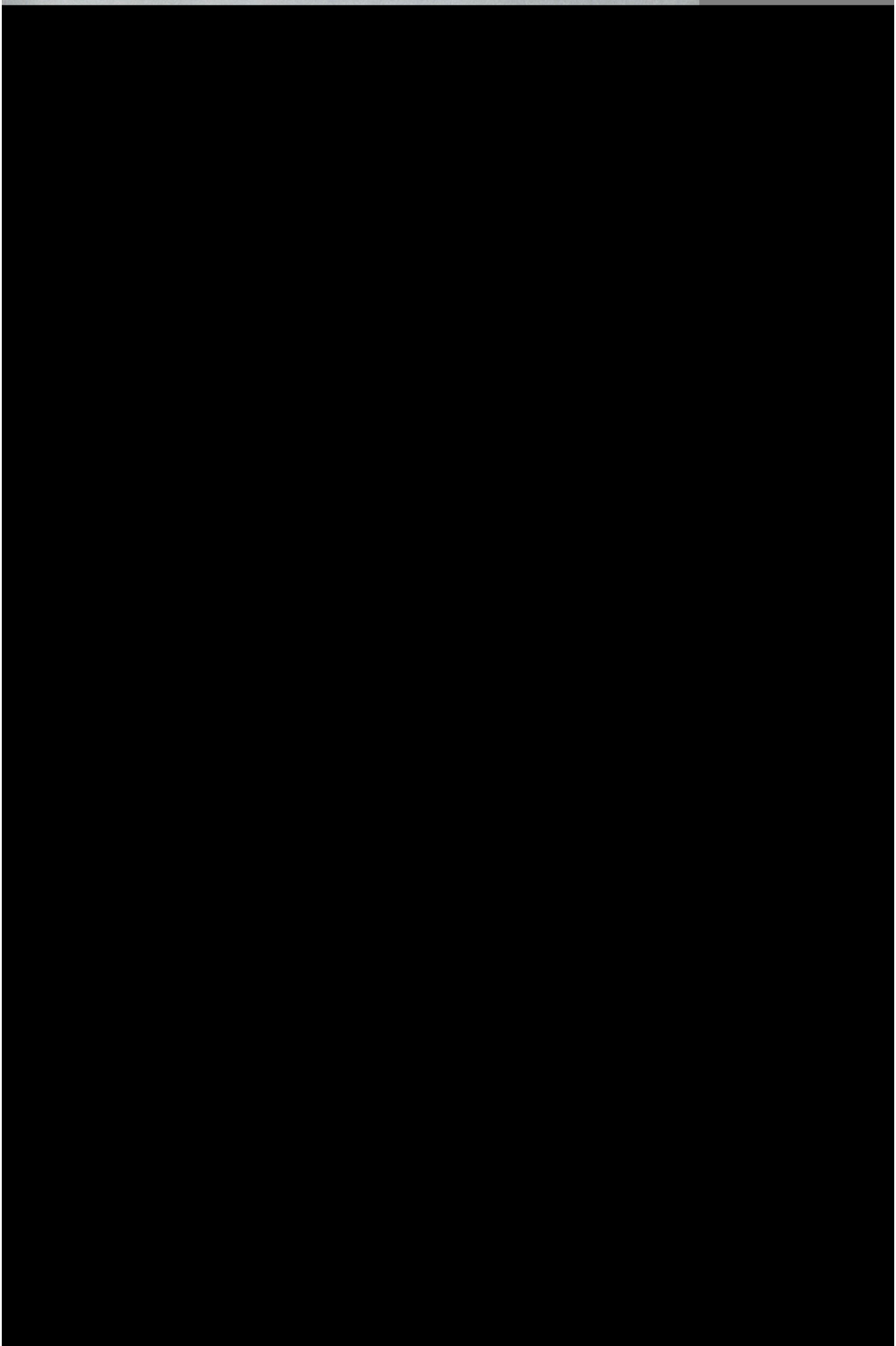

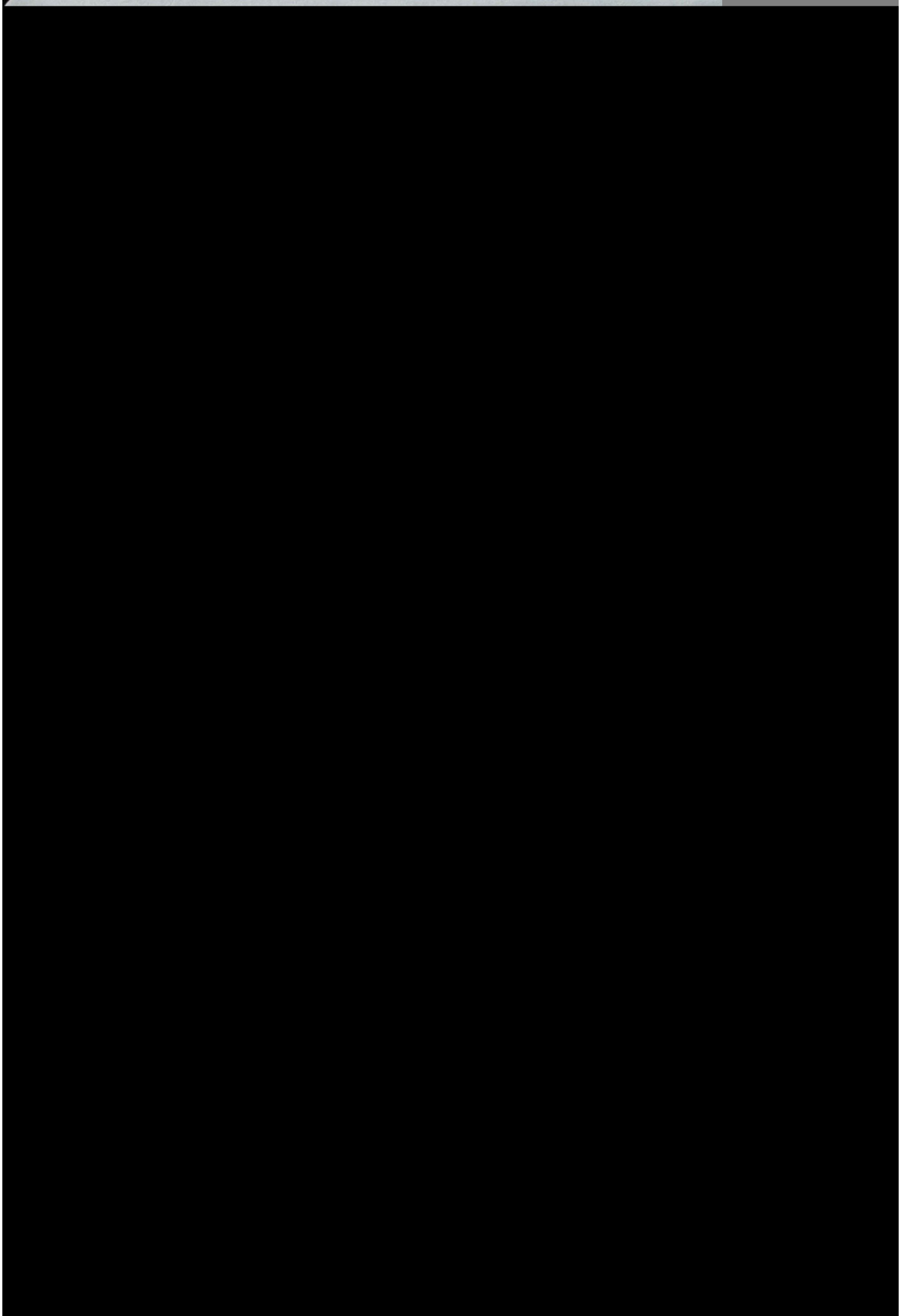

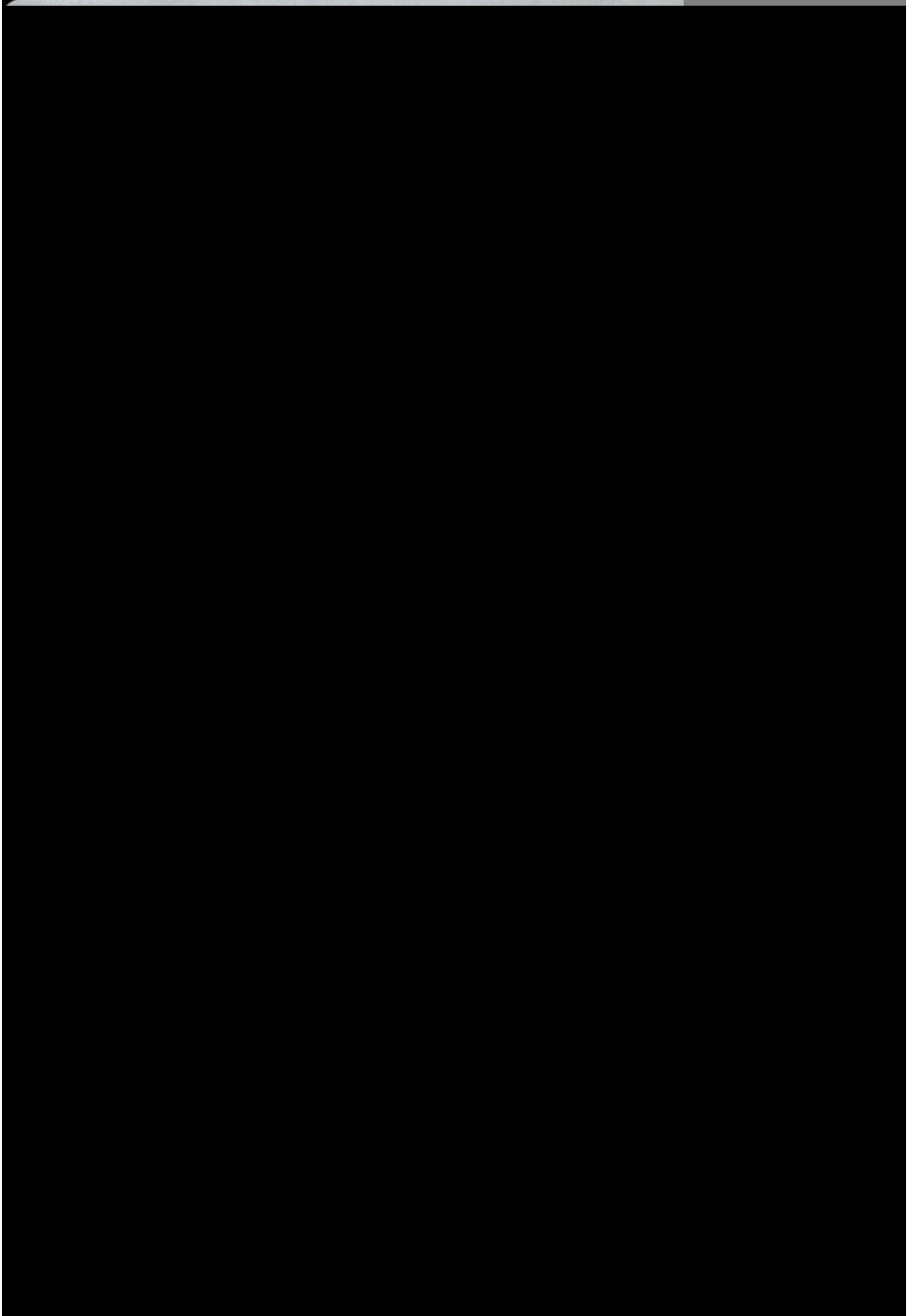

الفصل الثامن

ليس العجب على الحياة التي ترينا من الاعيبها ما يشيب الرأس، فهذه الحياة وقد اعتدناها، لكن العجب كل العجب على من تفوق على الحياة في تلك الالاعيب..

و "أم محمد" كانت من هذا النوع الذي أعطى للحياة درسًا في الألاعيب، تقف منحنية الظهر خائرة القوى، مبيضة الوجه أمام هند والتي صُدمت مما تفوهت تلك المرأة به.

هي لم تستوعب بعد ما سمعته في ذلك الكوخ، والآن تلك المرأة تقف لتكرر على مسامعها الأمر وبصورة أوضح.

- يعني أنتِ عشان ترجعي ابنك، تضحي بابن اختك؟! أنتِ بتفكري ازاي؟!

بكت السيدة بحرقة وقهر شديد:

- ده ابني.

- والتاني ابن اختك، ذنبه ايه يروح ضحية لابنك؟؟

صمتت السيدة باكية، لا تصدق أنها سلّمت رأسها للشيطان ليتلاعب بها، هي فقط لم تشعر بنفسها حينما أخبرتها تلك القذرة أنها على استعداد لإعادة طفلها مقابل طفلٍ آخر من نفس العمر، لكن الآن ماذا؟؟

- ويا ترى بقي اللي أخدوا ابنك قدروا حركة الجدعنة بتاعتك دي ورجعوا ابنك؟؟

نظرت لها السيدة " أم محمد " بقهر، هي حتى لا تعلم إجابة لهذا السؤال، لا تدري أستخدعها أم تصدق في قولها!!

- هي قالتلي... قالتلي أنها هترجعه ليا و. مش هيأذوهم هما بس...

صمتت ولا تدري أي حجة تبرر بها جريمتها في حق شقيقتها وابنها الصغير المسكين الذي سار معها هادئًا مستكينًا آمنًا فقط لأنها خالته.

اقتربت منها هند تنظر لعيونها محاولة استخلاص كل ما بداخلها:

- هي مين يا أم محمد؟! مين اللي اخذت ابنك وقالتلك تجيبي بداله عيل تاني عشان ترجعه؟؟
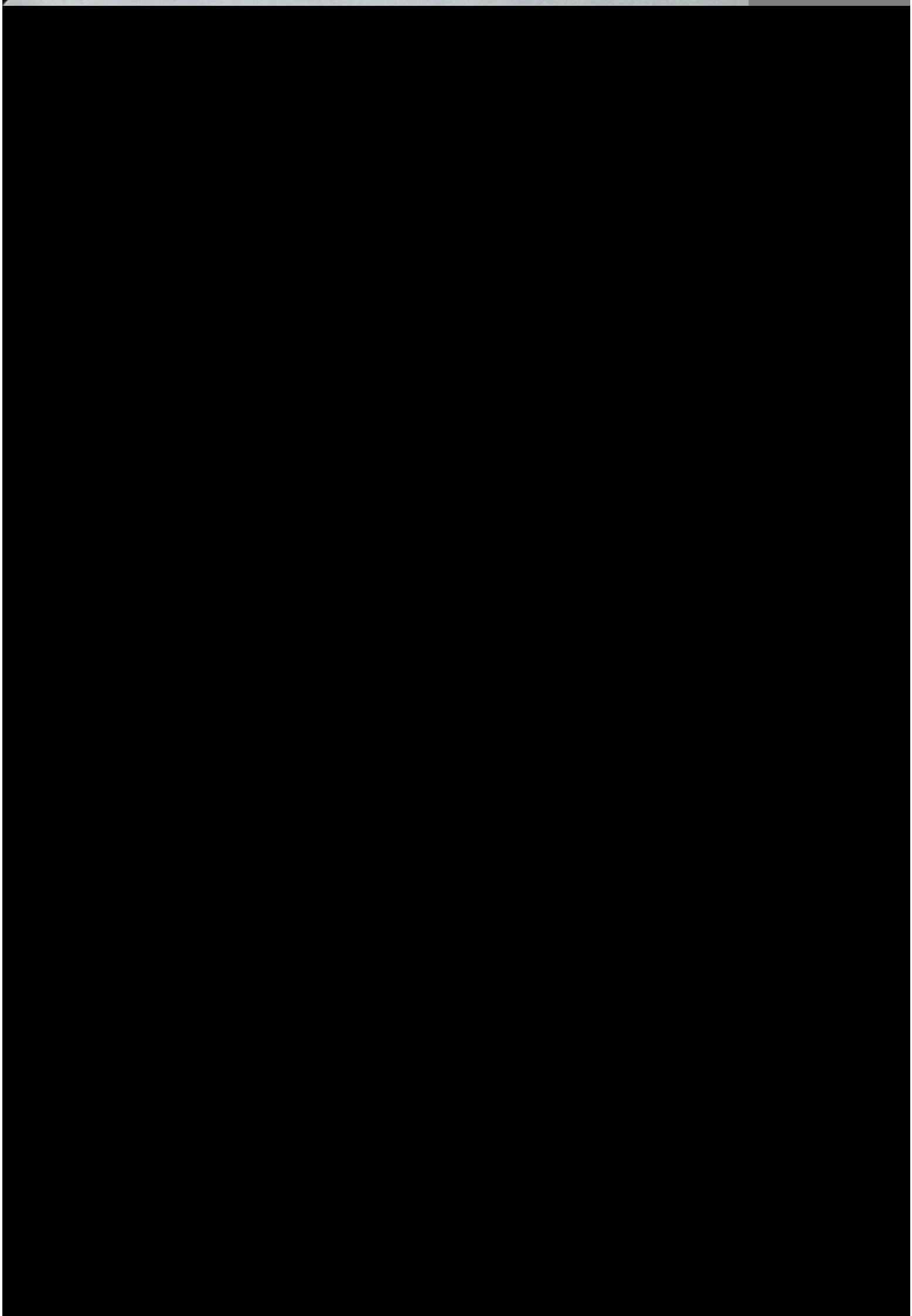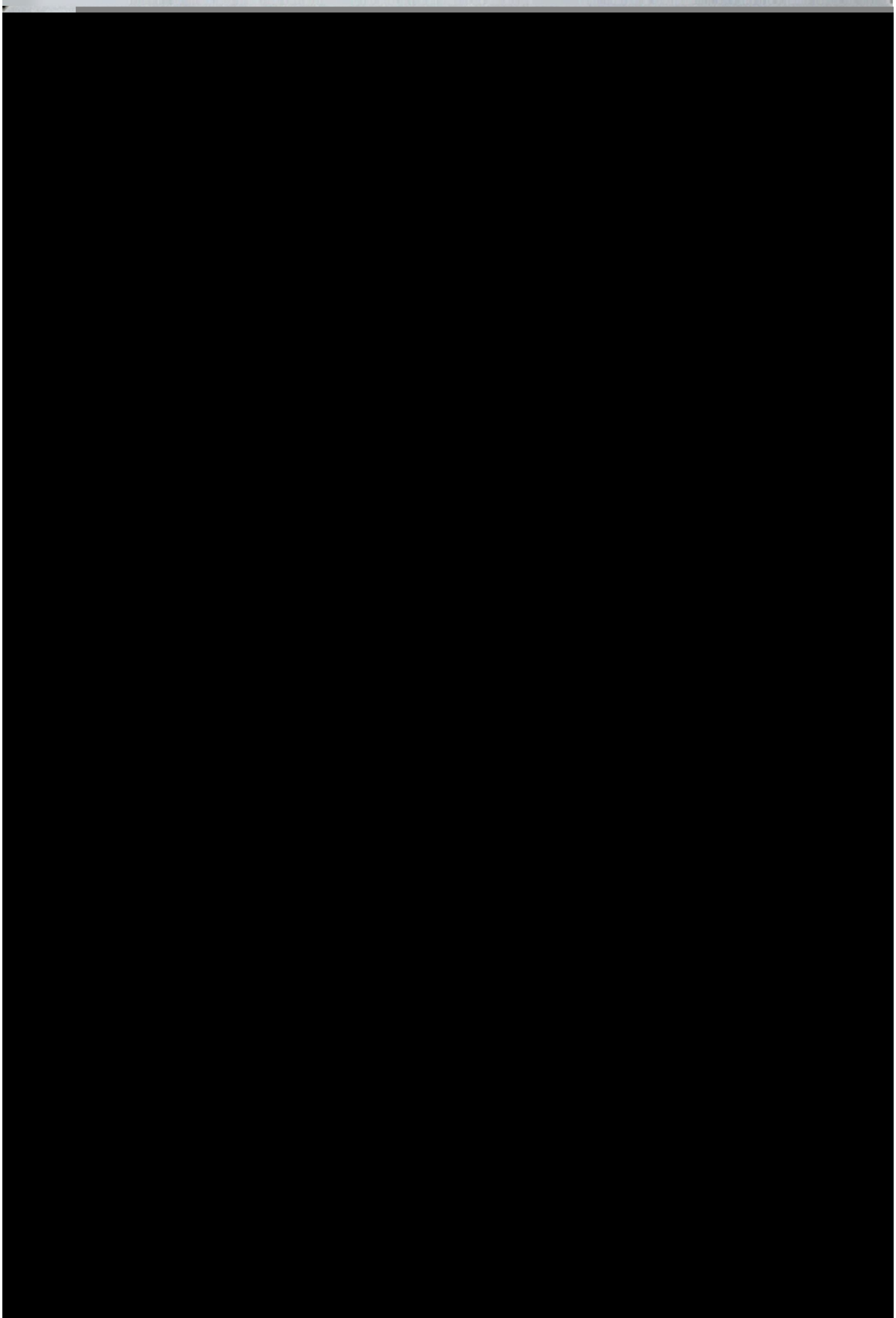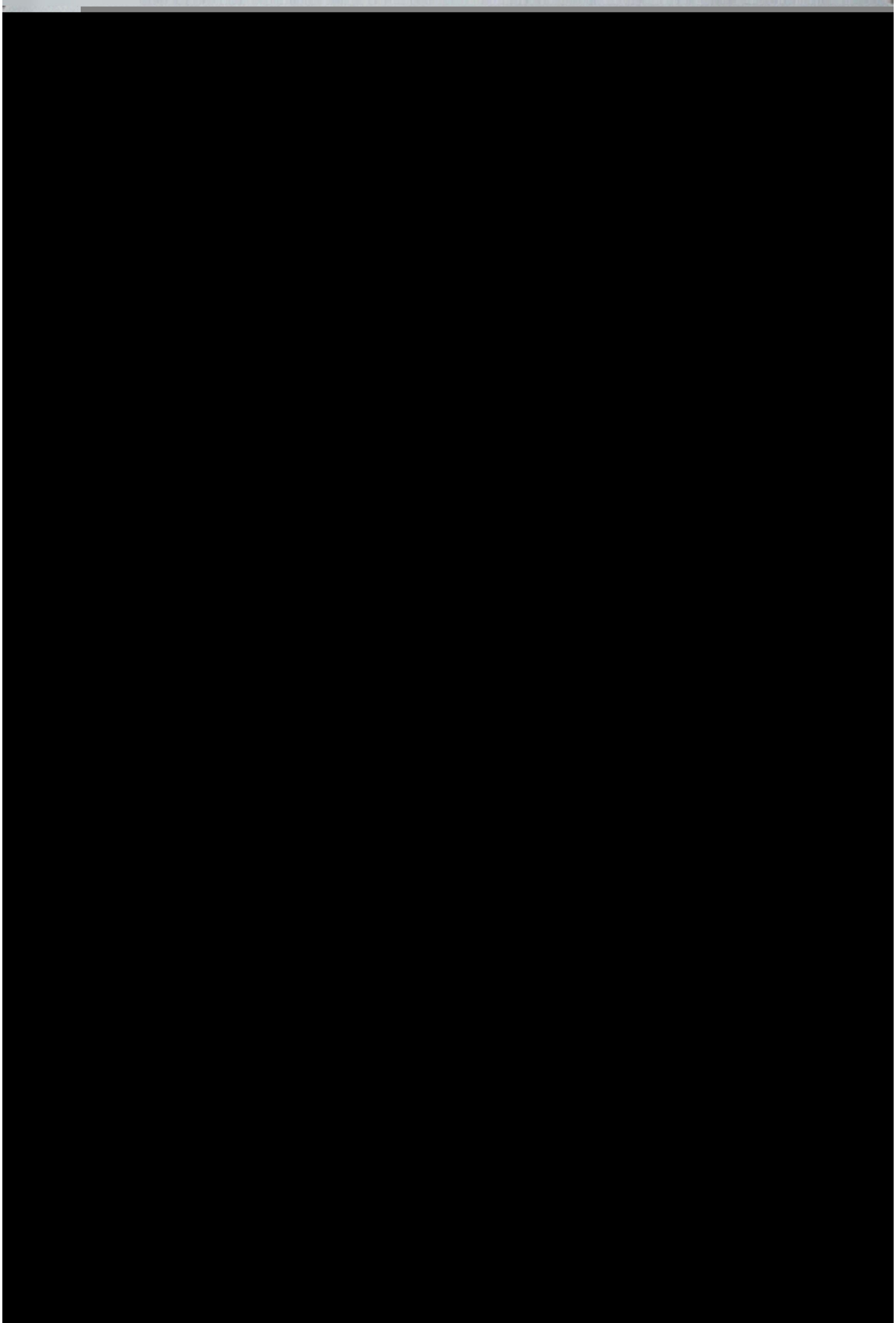
نظرت لها السيدة بريبة وقد شعرت أنها أفصحت أكثر مما يجب، لذلك تراجعت فورًا تحاول الهروب من الأمر برمته: